عدنان الطرشة

أنت والمال

كيف تكسب المال وتحفظه وتزيده؟

كيف تتجنب خسارته وهلاكه؟

مكتبة العبيكان

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

إن المال غني عن التعريف، فما من إنسان إلا ويعرفه حق المعرفة، فشهرته تغطي كل أرجاء الكرة الأرضية، وهو غني عن بيان مكانته عند الناس فهو الحبيب الغالي عند معظم الخلق، ذكورهم وإناثهم، فالمال ضروري للإنسان للعيش في هذا الزمان وفي كل زمان، إلا في آخر الزمان حيث سيكون المال وفيرًا حتى لا يقبله أحد لعدم الانتفاع به، بل تكثر رغبة الناس في الصلاة التي تكون خيرًا من الدنيا وما فيها؛ لعلمهم بقرب الساعة بعد نزول عيسى ﷺ؛ قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**»[1]. وحتى قبل هذا

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام.

الوقت سيأتي على الناس زمان يكثر فيه الرزق والمال، حتى إن الخليفة لا يعد المال عدًّا بل يغرفه بيديه غرفًا؛ قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا لا يعده عددًا**»[1].

والرزق أو المال غني أيضًا عن شرح مدى فوائده الدنيوية التي يعرفها الناس جميعًا، ولذلك تهالكوا في طلبه حتى أنساهم ذلك أو غفلوا عن ملاحظة ومعرفة أمور وأشياء مهمة وخطيرة تتعلق بالمال؛ وهي أمور منها ما أمر الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ بها أو حث عليها؛ وهي أسباب لكسب المال، أو حفظه، أو زيادته. ومنها ما نهى الله تعالى ورسوله ﷺ عنها أو حذَّر منها؛ وهي أسباب لخسارة المال، أو إنقاصه، أو هلاكه. وبلغت عناية القرآن الكريم للرزق والمال حدًا كبيرًا حتى تكرر لفظهما أكثر من مئتي مرة، أما كتب الحديث الشريف فقد طفحت بذكرهما.

وفي الحقيقة فإن تكرار لفظ الرزق والمال في القرآن كان هو الدافع إلى تأليف هذا الكتاب الذي لم يكن في البال أو في الخاطر، وإنما حدث ذلك فجأة ودون سابق إنذار، بتقدير الله جلَّ جلاله، فقد كنت أكتب فصولاً لكتاب آخر هو: «**كيف تكون ناجحًا ومحبوبًا**»، ولما أردت كتابة فصل عن النجاح مع المال قمت بمراجعة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ففوجئت بتكرار لفظ الرزق مع لواحقه مئة وثلاث وعشرين مرة، ولفظ المال مع لواحقه ست وثمانين مرة، وذلك في موضوعات مختلفة ومتنوعة مهمة وخطيرة كتبت أسماءها وصرت أضع

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

تحت كل اسم موضوع الآيات الخاصة به، فجعلني ذلك أشعر كأنني أكتب عناوين فصول لكتاب مستقل خاص بالرزق والمال.

وبالفعل فقد وجدت أن الموضوعات أكبر من أن تكون مجرد فصل واحد في كتاب، بل تستحق أن تكون فصولاً في كتاب مستقل عن المال؛ وهكذا وُلدت فكرة هذا الكتاب فتوقفت عن الكتابة في الكتاب الآخر وبدأت في كتابة هذا الكتاب الذي أسميته «**أنت والمال**»[1].

ولا بد من التنبيه إلى أن ما سوف يُذكر من أسباب كسب المال أو أسباب حفظه وزيادته يجب فعلها والعمل بها على أساس أنها أولاً وآخرًا عبادة لله عزَّ وجلَّ وطاعة له، لا أن تُتخَذ مجرد أسبابٍ الغرضُ منها مجيء الرزق والمال، وإن كان فعلها يجلب الرزق والمال إذا صلحت النية. ومثال على ذلك الصلاة؛ فإنها عبادة لله تعالى أولاً وآخرًا ولكن الله تعالى جعل لها فوائد بدنية كثيرة يحصل عليها المحافظ على أدائها دون أن يُلقي لها بالاً، فأداء الصلاة يجب أن يكون على أساس أنها عبادة لا على أساس الحصول على فوائدها البدنية؛ وهكذا أسباب كسب المال وحفظه وزيادته يجب فعلها على أساس أنها عبادة فيكون ذلك سببًا في مجيء الرزق والمال، على العكس مما لو فُعلت وكانت النية من فعلها استجلاب الرزق والمال و لم تكن النية طاعة الله وعبادته؛ فقد لا يقدِّر الله عزَّ وجلَّ حصول الرزق والمال لمثل هذا النوع من الفعل، لأنه تعالى هو مسبب الأسباب

(١) لقد اعتمدت كثيراً على تفسير القرآن العظيم لابن كثير في تفسير الآيات الواردة في الكتاب.

وخالقها وخالق ما ينتج عنها، وقد يجعلها لبعض الناس بلا نتيجة؛ فهو الرزاق ذو القوة المتين الذي يرزق من يشاء، ويوسع في الرزق لمن يشاء، ويحرم الرزق من يشاء، ويضيق في الرزق على من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

أدعو الله العلي القدير أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يكفينا بحلاله عن حرامه، وأن يغنينا بفضله عمن سواه، وأن يرزقنا الرزق الحلال الطيب، وأن يقنعنا بما رزقنا، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا. ونعوذ بالله عزَّ وجلَّ من زوال نعمته، ومن سوء المنقلب في المال، ونعوذ به تعالى من الفقر والقلة والذِّلة، ومن شر فتنة الغنى، ومن غلبة الدَّين، ومن الإسراف والتبذير، ومن البخل والشح والتقتير. وأدعوه جلَّ جلاله أن ينفع بهذا الكتاب الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

كتبـــه

عـدنـان الطرشه

ص.ب ٣٣٦٢ الرياض ١١٤٧١

المملكة العربية السعودية

قصة

الرزق والمال

قصة الرزق والمال

من أين الرزق؟:

من أين يأتي الرزق؟ إنه سؤال سبق أن وجهه زكريا عليه السلام إلى مريم البتول عليها السلام؛ قال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]؛ فقد كانت مريم عليها السلام تعيش وحيدة في غرفة قد تفرغت لعبادة ربها، وكانت لا تخرج من هذه الغرفة ولا يدخل عليها أحد سوى زكريا عليه السلام الذي كفلها، فكان يأتيها بما تحتاجه من الطعام والشراب، ولكنه كان كلما دخل عليها يفاجئ بوجود فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، فيتعجب زكريا من ذلك ويسأل مريم: من أين لك هذا الرزق؟! فتجيبه بأنه من عند الله الذي يرزق من يشاء وهو خير الرازقين.

وقضية الرزق خطيرة للغاية ولهذا تكرر ذكر الرزق في القرآن أكثر من مئة مرة، فالرزق أحد الأفعال الدالة على الربوبية، وهو آية عظيمة تدل على وجود الله جلَّ جلاله، ولهذا سأل الحواريون عيسى عليه السلام إن كان ربه يستطيع أن يُنَزِّل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

عليهم مائدة طعام من السماء فيأكلون منها وتطمئن قلوبهم، ويعلمون بها صدق المسيح عليه السلام ويشهدون أنها آية من عند الله؛ قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾[1]. وقد نصحهم عيسى عليه السلام أن يقنعوا بما رزقهم الله في الأرض ولا يسألوا المائدة من السماء لأنها إن نزلت عليهم كانت آية من ربهم فيُبتلوا بها، فأبوا إلا أن يأتيهم بها، فدعا عيسى ربه أن يُنزِّل عليهم مائدة من السماء .

فمصدر الرزق والرازق الحق له هو الله جلَّ جلاله. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾[2]. فالله جلَّ جلاله هو الرازق الرزاق الذي يرزق من يشاء ويوسع عليه ويمنع الرزق عمن يشاء و يضيق عليه، بيده

(١) سورة المائدة، الآيات: ١١٢-١١٥.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

الخير وهو على كل شيء قدير. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾[1] فالرزاق اسم من أسماء الله الحسنى؛ وهو تعالى الذي خلق المرتزقين وخلق لهم أرزاقهم وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها؛ والرزاق وصف لا يستحقه إلا الله تعالى؛ فلا يُنتظر الرزق إلا منه، ولا يُتوكل فيه إلا عليه سبحانه، وقد نفى تعالى أن يملك الرزق أو يستطيعه أحد غيره ممن يعبدهم المشركون من الأوثان، وأمر بابتغاء الرزق عنده وعبادته وحده وشكره على ذلك؛ إذ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

لقد خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض قبل أن يخلق الإنسان بأزمان طويلة، وهيأ الله عزَّ وجلَّ الأرض لسكنى الإنسان فجعل فيها أقواتها وأرزاقها التي تكفل حياة الإنسان وبقاءه حيًا إلى أن يأتي أجله؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

فقد خلق الله تعالى الأرض في يومين ثم دحاها في يومين آخرين فأخرج منها الماء والمرعى والزروع والأشجار والثمار وكل ما يحتاجه الإنسان والحيوان من رزق، وجعلها مباركة قابلة للخير والبذر والزراعة، وقدَّر فيها أقواتها وهو ما يحتاج إليه أهلها من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، وجعل في كل أرض ما يصلح لها ولا يصلح في غيرها؛ فالتفاح يصلح في أماكن، ولا يصلح في أماكن أخرى، والزيتون يصلح في أماكن دون أماكن وكذلك جميع أنواع الخضار والفاكهة والحبوب وغير ذلك فلها أماكن ومواسم مخصوصة، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[3]، أي؛ هو الذي مد الأرض فجعلها متسعة ممتدة في الطول

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٩-١٠.

(٢) سورة النازعات، الآيات: ٣٠-٣٣.

(٣) سورة الرعد، الآيتان: ٣-٤.

والعرض، وأرساها وثبتها بجبال راسيات شامخات حتى لا تميد وتتحرك القشرة الأرضية وتحدث الزلازل، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح، ومن كل نوع زوجين، وجعل فيها أراض، وبالرغم من تجاورها فإنه تعالى جعل هذه طيبة تنبت وتصلح للزراعة، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئًا، ويدخل في ذلك اختلاف ألوان الأراضي فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه مليئة بالحجارة، وهذه سهلة، وهذه مليئة بالرمل، وهذه سميكة، وهذه رقيقة وكلها متجاورات، وجعل فيها جنات من أعناب وزرع ونخيل، وعلى الرغم من أنها تُسقى بماء واحد إلا أن الله تعالى جعلها مختلفة الأجناس والطعم؛ فهذه حلوة، وهذه حامضة، وهذه مُرّة، وجعلها مختلفة الألوان؛ فهذه حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه برتقالية، وهذه خضراء، وهذه سوداء، وهذه زرقاء، والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والطعم، وكذلك الأزهار تختلف أشكالها وألوانها ورائحتها وطعمها؛ وكل ذلك يُسقى بالماء نفسه وتنبسط أشعة الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد؛ ففي هذا الاختلاف دليل على وحدانية الله وآيات تدل على أنه سبحانه وتعالى الفاعل المختار لا إله إلا هو ولا رب سواه الذي بإرادته وقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد، وفي ذلك آيات لقوم يتفكرون في آلاء الله عزَّ وجلَّ وحكمه ودلائله، وعلامات لقوم يعقلون ويفهمون عن الله عزَّ وجلَّ.

دوام الرزق في الأرض:

ثم بعد خلق الأرض وتقدير الأقوات فيها خلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان، ولم ينحصر رزق الله على ما سبق خلقه في الأرض من الأقوات بل هو تعالى يرزق الإنسان الرزق المتواصل المستمر إلى قيام الساعة؛ ومن دلائل ذلك أن الله ـــ جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه ـــ يخلق الأنعام من إبل وبقر وغنم ليأكل الإنسان من لحمها ويشرب من لبنها وينتفع بأصوافها وأوبارها وأشعارها المنافع المختلفة كالملابس الصوفية وغير ذلك، قال تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

ويمتنّ الله على الإنسان بأن يسخِّر له الدواب التي يركبها ويستخدمها في حمل الأثقال والنقل والسفر عليها إلى البلاد البعيدة وغير ذلك من الأعمال، ويذللها له حتى تكون بين يديه مقهورة ذليلة له لا تمتنع منه حتى أن الطفل الصغير يستطيع أن ينيخ البعير ويقيمه ويسوقه، فيمشي البعير معه مطيعًا ذليلاً، ولو كانت القافلة مئة بعير لسار الجميع بسير الصغير؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٢١-٢٢.

بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[2].

وعلى الرغم من أن هذه الأنعام والدواب مسخرة لخدمة الإنسان وهو المستفيد منها فإنه لا يملك رزقها وإنما رزقها على الله تعالى، بل الله يرزقها ويرزق الإنسان معها؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾[4]؛ فالحيوان لا يستطيع جمع طعامه وحمله، ولا يستطيع أن يدخر شيئًا من طعامه لغده خوفًا من عدم إيجاد الرزق في الغد، ومع ذلك يقيض الله له رزقه وييسره عليه فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض والسمك في الماء والطير في الهواء، ولهذا يقول رسول الله ﷺ: «**لو أنكم كنتم توكّلون على الله حق توكله لرُزِقتم كما تُرزَق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا**»[5].

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٥-٨.

(٢) سورة يس، الآيات: ٧١-٧٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٦.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩١١.

ومن دلائل دوام رزق الله عزَّ وجلَّ على الإنسان إلى قيام الساعة أنه تعالى يُنَـزِّل الماء من السماء لأنه ضروري لحياة الإنسان والحيوان والزرع والشجر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

فإنزال الماء من السماء آية من آيات الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه أمر خارج عن إرادة الإنسان وقدرته، فلا يستطيع الإنسان صنعه أو إنزاله من السماء، ولا يمكن أن يرزقه إياه سوى الخالق تبارك وتعالى، وقد نبَّه جلَّ جلاله في كثير من آيات القرآن على هذا الأمر العظيم الذي لا يقدر عليه غيره؛ ولهذا يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[2]، أي أن الله تعالى ينـزل الماء عذبًا زلالاً ولو يشاء الله لجعله زعاقًا مرًا لا يصلح لشرب أو لزرع، ولا يملك الإنسان القدرة على ذلك، فوجب عليه أن يشكر نعمة الله عليه في إنزال المطر طهورًا عذبًا صالحًا للشرب والزرع وفيه حياة كل شيء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[3].

---

(١) سوره النحل، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٦٨-٧٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

فالله تبارك وتعالى ينـــزل الماء ويُحيي الأرض بعد موتها رزقًا للإنسان والحيوان والزرع؛ قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[1]؛ فهذا امتنان بإنزال الماء من السماء إلى الأرض وإسكانه فيها وتخلله في أجزاء الحب المودع فيها فينبت ويرتفع ويظهر على وجه الأرض من أنواع الحبوب والعنب والحشائش والزيتون والنخل والبساتين وأنواع الفاكهة؛ وكل ذلك رزقًا وعيشًا دائمًا مستمرًا للإنسان والحيوان في هذه الدار إلى يوم القيامة.

ومن نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى على بني الإنسان أن جعل تعالى نزول الماء من السماء بقدر وبحسب الحاجة؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[2]؛ فلا يكون الماء كثيرًا فيفسد الأرض والزرع، ولا يكون قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل يكون نزول الماء بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى إن الأراضي التي تحتاج ماءً كثيرًا لزرعها ولا تحتمل دمنتها[3] إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر، ويقال لها الأرض الجرز يسوق الله إليها نهر النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها فيأتي الماء

(١) سورة عبس، الآيات: ٢٤-٣٢.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.
(٣) الدِّمْنة: الموضع القريب من الدار. (لسان العرب).

فيسقي أرض مصر ويقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه لأن أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال فسبحان اللطيف الخبير الرحيم بعباده، أو الأرض التي يترل عليها مطرًا لا يغني عنها شيئًا فيُجري الله إليها السيول؛ أفلا يبصر الناس إلى هذه الآية الدالة على وجود الصانع وقدرته التامة؟ قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[1].

أو تكون الأرض ميتة لا نبات فيها فيحييها الله عزَّ وجلَّ بالماء المبارك رزقًا للعباد، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾[2]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾[3]؛ فهذا كله ليس من صنع الإنسان بل هو من صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه، وما ذاك إلا من رحمة الله تعالى بالعباد فهلا يشكرونه على هذه النعم العظيمة التي لا تعد ولا تحصى؟

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٧.

(٢) سورة ق، الآيات: ٩-١١.

(٣) سورة يس، الآيات: ٣٣-٣٥.

ولأن قدْر الأشياء يُعرف بضدها، كما يُعرف قدْر الصحة بالمرض، فقد يَنـــزل أحيانًا على بعض البقاع مطرٌ كثير ينتج عنه فيضان وإغراق وهدم وضرر بالزرع والثمار؛ أو يقل المطر أو يعدم أحيانًا عن بعض البقاع فينتج عنه جفاف وقحط، فإن لم يكن ذلك سَوْط عذاب من الله تعالى على من كفر به أو ترك دينه وعصاه، أو لم يكن ذلك ابتلاء من الله تعالى للمؤمنين لامتحان صبرهم وزيادة درجاتهم وتكفير خطاياهم، فهو تنبيه من الله عزَّ وجلَّ على أن ذلك لا يكون إلا بإرادته وقدرته، وتنبيه إلى عظم نعمة إنزال الماء بقدر، وبحسب حاجة الأرض فيشكر العباد هذه النعمة العظيمة من الرب الرحيم. وقد حدث في عهد النبي ﷺ ما يدل على ذلك، حيث قال أنس بن مالك: «أصابت الناس سَنَة على عهد النبي ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله! هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديه - وما نرى في السماء قزعة - فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينـــزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ. فمُطِرنا يومنا ذلك، ومن الغد، وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى. وقام ذلك الأعرابي -أو قال غيره- فقال: يا رسول الله! تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا. فرفع يديه فقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**». فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة. وسال الوادي قناة شهرًا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدَّث بالجود»[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة.

ومن الدلائل العظيمة على دوام الرزق أنْ سخر الله عزَّ وجلَّ للإنسان الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم وبث له في الأرض المعادن على اختلاف أنواعها وأشكالها وألوانها كالذهب والفضة وغيرها من المعادن النفيسة، والحديد والخشب وغير ذلك من المعادن والخامات التي يستخدمها الإنسان في صناعة الأشياء المختلفة التي يحتاجها في حياته، قال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[2]؛ وقد خص الله تعالى الحديد بالذكر من بين المعادن الثقيلة الأخرى حتى سميت السورة التي فيها هذه الآية (سورة الحديد) لأن في الحديد من المصالح للإنسان ما لا يعد ولا يحصى؛ فالصناعات الثقيلة، والأسلحة على مختلف أنواعها، والأبنية، والسفن، والطائرات، والأدوات التي تُستخدم في الصناعات المختلفة كالحراثة والنجارة والحدادة والحياكة والخبازة والطبخ وغير ذلك كثير؛ كلها من الحديد.

وسخر الله عزَّ وجلَّ للإنسان البحر رزقًا دائمًا مستمرًا ليأكل منه اللحم الطري، ويستخرج منه اللؤلؤ والمرجان والجواهر النفيسة، ويسافر فيه للتجارة وطلب الرزق بواسطة السفن التي تشق البحر بمقدمتها المسنمة التي أرشد الله الإنسان إلى صناعتها وهداهم إلى ذلك إرثًا عن أبيهم نوح عليه السلام، فإنه أول من

(١) سورة النحل، الآية: ١٣.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

صنع سفينة بتعليم الله له كيفية صنعها وعلى مرأى من الله تعالى؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[1]، فتمكين الإنسان من التصرف في البحر وتذليله بالركوب نعمة عظيمة من نعم الله المستمرة على الإنسان، ولو شاء الله سلطه على الناس وأغرقهم.

وسخر الله الجبال لتثبيت الأرض، والأنهار التي تجري من مكان إلى مكان آخر رزقًا للعباد، ينبع النهر في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع والبراري والقفار، ويخترق الجبال والوديان وهو سائر يمنة ويسرة وجنوبًا وشمالاً وشرقًا وغربًا رزقًا لأهل البقاع التي يمر بها حتى يصل إلى البلد الذي سخره الله لأهله. وسخر الله النجوم ليهتدي بها الإنسان في ظلام الليل؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[2].

---

(١) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٤-١٨.

ويسر الله تعالى للإنسان أسباب المكاسب وأصناف المعايش والعبيد والإماء التي يستخدمها، ورزْق هؤلاء على خالقهم لا عليه، فللإنسان المنفعة، والرزق على الله سبحانه وتعالى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[1]. وقد هدى الله تعالى الإنسان إلى كل ما فيه مصلحة لمعيشته على هذه الأرض من الزراعة والصناعة وغير ذلك من الأعمال والمهن والحرف.

فهذا وغيره مما لا يحصى دلائل على أن الله سبحانه وتعالى يرزق الإنسان باستمرار مؤمنًا كان أو كافرًا، وأخبر تعالى أن رزق الإنسان في السماء: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[2]، ورزق الله تعالى ليس له نفاد، بل يكفل حياة البشر جميعًا في الأرض إلى قيام الساعة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولو أن أول البشر وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في مكان واحد فسألوا الله تعالى فأعطى الله كل واحد ما سأل ما نقص ذلك مما عند الله إلا كما تُنقِص الإبرة من البحر إذا أُدخلت فيه. فالله عزَّ وجلَّ يعلم كم سيكون من الإنسان والحيوان على الأرض من أولهم إلى آخرهم عند قيام الساعة ويعلم كم سيحتاجون من الرزق، فهو تعالى يرزقهم بما يكفيهم ولا يمكن أن يكون رزق الله تعالى ناقصًا عن حاجة خلقه جميعًا من الإنسان والحيوان، بل تكفل الله برزق كل مولود يولد ونهى تعالى الآباء عن قتل أولادهم بسبب الفقر وبيَّن أنه تعالى يرزقهم ويرزق أولادهم أيضًا؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[3].

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٠.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

فالله تعالى هو الرزاق، ويرزق من يشاء بغير حساب، وما من مخلوق إلا وله رزقه حتى ولو كان دابة؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[1]، فإذا كان الله عزَّ وجلَّ قد كفل رزق الدواب فما بالك برزق الإنسان الذي فضّله الله على كثير من المخلوقات؟ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2].

أما ما نراه ونسمعه من حصول مجاعات في بعض البلاد، وعدم وجود طعام يكفي بعض الناس فإنما ذلك من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، إذ لو قامت البلاد التي يغمرها الرزق ويفيض عن حاجتها بمنح جزء من الرزق للبلاد التي لديها نقص فيه لما جاعت تلك البلاد، وكذلك لو قام الأغنياء بإطعام الفقراء لما جاع أحد من الناس، فكما يختبر الله عزَّ وجلَّ إيمان الإنسان بالزكاة التي يدفعها للفقراء فكذلك يختبر الدول الغنية بالأرزاق التي تمد به الدول المحتاجة إليها.

وقد يكون تجويع بعض البلاد مقصودًا من قبل بلاد أخرى تنتهج سياسة التجويع أو الحصار الاقتصادي؛ لإرغام الناس على الخضوع لها، أو القبول بأمور معينة، أو اعتناق أفكار أو مذاهب مخصوصة لم يكن هؤلاء الجياع ليقبلوا بها لولا

---

(١) سورة هود، الآية: ٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

الجوع. وقد يبلغ ظلم الإنسان بأخيه الإنسان أن تقوم بعض البلاد بإتلاف بعض الأرزاق لتحافظ على سعرها المرتفع في السوق جشعًا وطمعًا لعلمهم أن الأسعار ترتفع وتنخفض بحسب العرض والطلب فلو زاد عرض أي سلعة عن الطلب لانخفض سعرها كثيرًا، حتى الذهب ينخفض سعره لو طُرحت كميات كبيرة منه في السوق فما بالك بما هو دون ذلك من الطعام والشراب؟!

وإن مما يدل على دوام الرزق ووفرته أنه في آخر الزمان يكون المال وفيرًا بحيث لو عُرض على الإنسان مال كثير لا يقبله، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينـــزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنـــزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**»[1]؛ فالمال يفيض إلى حد عدم الانتفاع به، وتقل الرغبة به حتى لا يقبله أحد، بل تكثر رغبة الناس في الصلاة التي تكون خيرًا من الدنيا وما فيها لعلمهم بقرب الساعة بعد نزول عيسى ﷺ.

ومن أسباب كثرة المال نزول البركات وتوالي الخيرات وإخراج الأرض لكنوزها، أي أن الله تعالى خلق في الأرض كنوزًا تكفي البشرية جمعاء منذ أبيهم آدم وحتى قيام الساعة، وهذا من عدل الله ورحمته ببني آدم؛ المؤمن منهم والكافر، حتى إن إبراهيم عليه السلام حين دعا الله تعالى أن يرزق المؤمنين فقط من دون الناس

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام.

من أهل البلد الحرام، قال تعالى بأن رزقه يشمل الكافر أيضًا، فهل يخلق الله خلقًا ولا يرزقهم؟ قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا لا يعده عددًا**»[2]؛ فالرزق والأموال تكثر في آخر الزمان حتى إن الخليفة لا يعد المال عدًّا بل يغرفه بيديه غرفًا.

الرزق والمال:

الرزق هو الأصل لكل مال أو نقود، والرزق هو ما جعله الله تعالى في الأرض من الأقوات التي لا تعد ولا تحصى، ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾[3]. فالثمرات وأنواع الزرع التي لا حصر لها، والمعادن النفيسة كالذهب والفضة وغيرها، والمواد الخام كالحديد والألمنيوم والنحاس وغير ذلك، والنفط والغاز وغيره مما هو معروف الآن أو مما سيكتشفه الناس ويحتاجونه في المستقبل مما أودعه الله تعالى باطن الأرض، وما يُستخرج من البحر من أنواع الأسماك الكثيرة وكذلك المعادن النفيسة، وما خلقه الله تعالى من الحيوان الذي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

سخره للإنسان لاستخدامه أو لأكله أو الانتفاع مما يخرج من بطنه من حليب أو عسل ونحو ذلك، حتى الصخر والرمال ونحوها مما يوجد على الأرض بكثرة؛ فكل ذلك رزق ومال يمكن مبادلته بأي نوع آخر من الرزق، وهذا هو الأصل في التعامل بين الناس حيث يبادل الإنسان كمية مما عنده من الرزق سواء كان ذلك تمرًا أو قمحًا أو بيضًا أو غير ذلك بما يحتاجه من طعام آخر أو لباس أو مركب ونحو ذلك.

أما سبب وجود النقود فلأنه قد كثر الناس وكثر الرزق في أيديهم، ونشأت عدة صعوبات في استخدامه، ومن ذلك صعوبة حمله ونقله من مكان إلى آخر، وصعوبة التوافق المزدوج بين صنفين من الرزق، فصاحب التمر مثلاً قد لا يجد من يبادله بما هو في حاجة إليه من اللباس أو غير ذلك، وصعوبة قياس كمية السلعة بكمية سلعة أخرى، وصعوبة التجزئة وتكافئ الشيء التافه مع سلعة أخرى، وصعوبة حفظ السلع من التلف واحتفاظها بقيمتها لتكون مستودعًا للثروة وقوة للشراء المطلق. فاحتاج الناس إلى وسيلة يحصل بها التغلب على هذه الصعوبات ويسهل حملها والتعامل بها واستخدامها وسيطًا للتبادل العام تنوب عن الرزق الأصلي، ويمكن استخدامها مقياسًا للقيم والثمن، وخزانة للثروة، وقوة شرائية مطلقة.

فشاء الله عزَّ وجلَّ أن يبحث الإنسان عن وسيلة تكون لها صفات تقيها عوامل التلف والتأرجح بين الزيادة والنقصان، وشاء تعالى أن يهتدي الإنسان إلى المعادن النفيسة من الذهب والفضة والنحاس، فتعامل الناس بها على شكل سبائك وقطع غير مسكوكة، ولكن بسبب اختلاف هذه الأنواع وعدم معرفة كل الناس

بالمادة الأصلية لهذه المعادن ووجود مشقة في وزن المقادير المتفق عليها من المعدن الثمين عند كل عملية بيع وجدت ثغرة في استعمالها كانت ميدانًا للتلاعب والفوضى؛ مما جعل ولاة الأمور يتدخلون في شؤون النقد ويحتكرون إصداره على شكل قطع مختلفة من النقود المعدنية لكل منها وزن وعيار معلومان وختْم على كل قطعة يدل على مسؤولية الحاكم عن الوزن والعيار. وبذلك أصبحت العملات المعدنية تعد عدًّا بدلاً من وزنها، وصار كل جنس منها متفقًا بعضه مع بعض في النوع والمقدار.

وبالرغم من اكتساب هذا النقد الثقة والاطمئنان والقدرة على إدارة التعامل به بين الناس إلا أنه لم يكن قادرًا قدرة تامة على مجاراة التطور الاقتصادي، وظهر عجزه في الصعوبة النسبية لحمله ونقله تبعًا لتعدد الصفقات الكبرى في الأسواق التجارية في العالم، فضلاً عن الخوف من ضياعه أو سرقته ؛ فتطوَّر تفكير الإنسان بالنقد تبعًا للتطور الاقتصادي السريع، فهدى الله عزَّ وجلَّ الإنسان إلى العملات الورقية التي تدرجت أيضًا في نشأتها حتى بلغت مرتبة النضج والكمال، وبالرغم من أن العملة الورقية في حقيقتها ليست أكثر من قصاصة من الورق عليها نقوش وصور وأرقام لا قيمة ذاتية لورقها بدليل التقارب في الحجم بين الفئات المختلفة التي تحمل رقم واحد أو خمسين أو مئة أو رقمًا أكبر من ذلك أو أصغر، إلا أنها لقيت قبولاً عامًا كوسيط للتبادل والبيع والشراء، واعتُبِرتْ مخزنًا للثروة ومقياسًا للقيم ، ووثق الناس بها كقوة شرائية مطلقة، حيث يستطيع أي إنسان يحملها أن يشتري بها أي سلعة يريدها أو يستبدلها بعملة بلد آخر.

وهكذا تحول التعامل بين الناس من تبادل الرزق إلى التعامل بالعملة الورقية التي أصبحت رمزًا للرزق ولسان حاله، وصار البيع والشراء وأجور العمل والخدمات يتم حسابه وتسديده بهذه الأوراق، لأن الناس أصبحوا يثقون بقيمة هذه الأوراق على أنها مادة يمكنهم أن يشتروا بها ما يشاؤون، ويطمئنون إلى أنها مستودع للثروة، ويمكنهم أن يدخروا منها أي كمية يستطيعون جمعها، هذا ما لم تتعرض الحكومة التي تصدر هذه الأوراق إلى أزمات اقتصادية أو حربية أو سياسية أو غير ذلك مما يفقد هذه العملة الورقية قيمتها الاعتبارية فتصبح مجرد ورق قيمته بقيمة الورق العادي كما حدث في بلاد كثيرة، أو يبطل التعامل بها كما حصل في بلاد أخرى؛ لأن هذه الأوراق المزخرفة بالرسوم والكتابة لا قيمة لها في ذاتها وإنما القيمة في أمر خارج عنها؛ وفي هذه الحالة تبرز قيمة الرزق الأصلي وهو الأقوات والكنوز التي قدَّرها الخالق سبحانه وتعالى في الأرض، فيتهافت الناس مثلاً على التعامل بالذهب والفضة بيعًا وشراءً؛ لأن قيمة هذا الرزق في ذاته كمعدن نفيس على عكس الورق النقدي.

رزق الإنسان وماله:

إن أول ما يحتاجه الإنسان لمعرفة كيف يكسب المال أو يزيده أو يحفظه من المفاسد أو يتجنب خسارته وهلاكه هو أن يعرف بأن رزق أي إنسان وحجم المال الذي سوف يجنيه طوال حياته أمر قد تم الفراغ منه منذ أن كان هذا الإنسان في رحم أمه؛ فالله تبارك وتعالى يرسل ملَكًا يكتب رزق هذا الإنسان الذي لا زال جنينًا في رحم أمه كما قدَّر الله عزَّ وجلَّ له؛ فقد أخبرنا رسول الله

ﷺ بذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن أحدكم يُجمَع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملَكًا يُؤمَر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد. ثم يُنفَخ فيه الروح**»[1]. قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

فالله تبارك وتعالى يحتج على المشركين بأنه الخالق الرازق الذي يُخرج الإنسان من بطن أمه عريانًا ثم يرزقه ما يحتاج إليه في معاشه وقيامه من المال والممتلكات وأنواع المكاسب، فهل الذين يعبدونهم من دون الله من يفعل شيئًا من ذلك؟ كلا، لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، تبارك وتعالى وعزَّ وجلَّ وتقدس وتنـــزه عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد، بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد.

وهذا الرزق لا يزيد ولا ينقص ذرة عن القدر الذي قدَّره الله عزَّ وجلَّ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[3]. وهذا التقدير والتحديد مرتبط بما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٠.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.

سبق في علم الله تعالى من عمل هذا الإنسان في هذه الحياة من خير أو شر؛ فقد خلق الله تعالى أسبابًا لكسب المال وزيادته وحفظه، وأسبابًا لخسارته وتقليله وهلاكه؛ وبأي من هذه الأسباب يعمل الإنسان بنية صادقة صالحة يحصل على النتيجة التي قدَّرها الله عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾[1]، أي؛ يوسع الله تعالى عليه الرزق في الدنيا أو يضيق عليه لما له في ذلك من الحكمة والعدل.

ولأن الدنيا دار امتحان فإن بسط الرزق على عبد لا يدل على كرامته فقد يكون ذلك على بعض الكافرين، وكذلك التقتير على عبد لا يدل على إهانته؛ لأن ذلك قد يكون على بعض المؤمنين. ولن يموت أي إنسان حتى يستوفي تمامًا ما قدَّره الله له من رزق؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب. فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها. فاتقوا الله وأجملوا في الطلب. خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُمَ**»[2]، أي؛ اسعوا برفق في طلب رزقكم فإن أحدكم لن يموت حتى يستوفي كامل رزقه الذي قسمه الله عزَّ وجلَّ له، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[3]، وهذا الرزق وإن أبطأ عنه في بعض الأحيان ـلحكمة يعلمها الله- فهو لا بد يأتيه.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤٣.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

ولأن الرزق هو أكثر ما يشغل وقت الإنسان ويلهيه حتى عن عبادة الله تعالى وعن الصلاة أخبر الله عزَّ وجلَّ العباد أنه خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له ولا يريد منهم رزقًا ولا يريد أن يطعمون؛ سواء أن يرزقوا أنفسهم ويطعموها أو يرزقوا غيرهم ويطعموهم؛ لأنه هو سبحانه الرزاق والمعطي؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2]، أي؛ اصبر على إقامة الصلاة وأْمُر أهلك بها ولا نكلفك أن ترزق أحدًا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك، بل إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب.

الإنسان والمال:

إذا كان الله جلَّ جلاله قد خلق الأقوات في الأرض قبل أن يخلق الإنسان، وإذا كان تعالى سيرث الأرض بما عليها بعد أن يفنى كل ما عليها من إنسان أو حيوان، وإذا كان الإنسان يولد وليس له مال، ثم يرزقه الله عزَّ وجلَّ المال، ثم يموت الإنسان ولا يأخذ معه شيئًا من هذا المال كما أخبر النبي ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة: فيرجع اثنان**

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦-٥٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»[1]؛ فإذًا ما هو الدور الحقيقي للإنسان مع المال، ومن هو المالك الحقيقي للمال؟

لقد تبين مما تقدم أن الرازق الحقيقي هو الله عزَّ وجلَّ، وبالتالي فهو تعالى المالك الحقيقي للمال يتصرف فيه كما يشاء، فيرزق منه كثرة وقلة من يشاء من عباده، وقد تكرر في القرآن قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾[2]، أي؛ هو تعالى الذي يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء ويغني من يشاء ويفقر من يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك.

فالله تبارك وتعالى هو المالك للرزق المتصرف فيه بما يشاء، وإن أمسك رزقه عن أحد من الناس فلا أحد يمكن أن يرزقه؛ قال جلَّ جلاله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[4]، فمن يقل إن هناك من يرزق غير الله عزَّ وجلَّ فليأت ببرهان على ذلك إن كان صادقًا، قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢١.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

فما دام الرزق رزق الله والمال مال الله كما قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ﴾[2]، فما هو الدور الحقيقي للإنسان مع المال؟

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4]، فقد استخلف الله عزَّ وجلَّ الإنسان في الأرض ومما استخلفه فيه أيضًا المال، قال الله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[5]؛ فأصل المال لله سبحانه، بل الكرة الأرضية بأكملها ملك لله عزَّ وجلَّ؛ وهي لم تكن قبل خلق الإنسان ملك أحد من الناس، ولن تكون بعد فناء الناس جميعًا ملك أحد منهم، وهي كذلك الآن، وإنما يستخلف الله من يشاء من خلقه في أي بقعة من أرضه إلى أجل مسمى في قدره، ثم يستخلف من بعدهم قومًا آخرين، وهكذا دواليك إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٧.

والأمر نفسه بالنسبة للمال فهو لله تعالى وليس للإنسان في الحقيقة، وإنما هو فيه بمنـــزلة النائب والوكيل، وليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله عزَّ وجلَّ، وقد أمر تعالى عباده بالإنفاق مما استخلفهم فيه من المال، وجعله معهم على سبيل العارية، فإن كان في أيدي مَن قبلهم فقد صار إليهم واستخلفهم فيه بعدما استخلفه مَن قبلهم، وسيستخلفه الله مَن بعدهم بعد موتهم، فأرشد تعالى إلى اغتنام الفرصة قبل أن يزال عنهم إلى مَن بعدهم وذلك بالإنفاق في سبيل الله تعالى واستعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته وعلى الوجه الذي يرضيه، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ قال: إنَّا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**»[1]؛ فإن فعلوا ذلك كان لهم الثواب الجزيل والأجر الكبير، وإلا حاسبهم الله تعالى على المال وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه.

وفي الآية السابقة إشارة إلى أن مالهم سيكون مخلفًا عنهم، فلعل ورثتهم يطيعون الله فيه فيكونون أسعد منهم بما رزقهم الله من أموالهم، أو يعصون الله فيكونوا قد سعوا في معاونة ورثتهم على الإثم والعدوان، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أيُّكم مال وارثه أحب إليه من ماله**»؟ قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «**فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر**»[2]، أي؛ أن الذي يتركه الإنسان من المال بعد موته ـــ وإن كان في حياته منسوبًا إليه ـــ فإنه باعتبار انتقاله إلى وارثه يكون منسوبًا للوارث، فما قدمه من المال هو الذي يضاف إليه

(١) مسند أحمد، رقم: ٢١٨٠٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما قدَّم من ماله فهو له.

في الحياة وبعد الموت بخلاف المال الذي يخلفه، ولهذا قال ﷺ: «**يقول العبد: مالي مالي. إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس**»[1]؛ فماله ما أكل أو لبس أو تصدق وما بقي من المال سوى هذه الثلاث فليس ماله، وإنما هو مال الورثة يستخلفهم الله فيه بعدما كان مستخلَفًا هو فيه.

ومن حكمة الله في خلقه أن يوجد فقراء، وأن يوجد أغنياء قد وسَّع الله عليهم المال وفضلهم على غيرهم من الناس، قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾[3]؛ وذلك ليختبر إيمان الأغنياء وطاعتهم بتنفيذ أوامره في الإنفاق من مال الله الذي آتاهم على من ذكرهم الله تعالى لهم من المحتاجين؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾[4]؛ فالذي

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧١.

(٤) سورة الروم، الآيات: ٣٧-٣٩.

يعطي المال للمحتاجين من أقاربه وللمساكين وللمسافرين المنقطعين يريد بذلك وجه الله فله ثواب ذلك وهو المفلح، أما من أعطى المال يريد بذلك أن يحصل به من الناس على أكثر مما أعطى فهذا لا ثواب له عند الله، وبيَّن تعالى أن الثواب والجزاء المضاعف يكون في الزكاة لوجه الله.

أنت والمال في الدنيا

أنت والمال في الدنيا

زينة المال:

المال هو ما يملكه الإنسان من كل شيء؛ سواء كان مالاً نقدًا أو بيتًا أو أثاثاً أو سيارةً أو أرضًا أو زرعًا أو ماشيةً ونحو ذلك مما يمتلكه الإنسان ويتصرف فيه، والمال زينة الحياة الدنيا التي يحبها كل إنسان، ويسعى جهده إلى امتلاكه، كل بحسب طريقته، قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

ويخبر الله عزَّ وجلَّ أن المال من الملذات التي زُيِّنت للناس في هذه الحياة الدنيا؛ قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[3].

ولهذا قال عمر ﷺ: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه.

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

وقد أصبح المال هو الحسب الذي يتفاخر به أهل الدنيا كما أخبر النبي ﷺ: «**إن أحساب أهل الدنيا، الذي يذهبون إليه: المال**»[(١)]؛ فالمال فضائل أهل الدنيا التي يرغبون فيها ويميلون إليها ويعتمدون عليها في أمور الحياة كالزواج وغيره، ولا يعرفون شرفًا آخر مساويًا أو مدانيًا له، والواقع يشهد على ذلك حيث إن صاحب المال فيهم عزيز كيفما كان، وغيره ذليل كيفما كان.

والإنسان يَشبُّ على حب المال ويَشيبُ عليه ولا يكتفي منه أبدًا، بل كلما جمع مالاً طمع في غيره، قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**»[(٢)]. وكلما تقدم الإنسان في السن زاد حبه للمال، وإن لم يعد بإمكانه الاستفادة منه أو الاستمتاع به فيما تبقى له من العمر؛ قال ﷺ: «**يكبَرُ ابن آدم ويكبَرُ معه: حب المال، وطول العمر**»[(٣)]. وقد يصل الأمر بالإنسان إلى أن يصبح عبدًا للمال لكثرة حرصه وانشغاله معظم وقته في جمع المال، وقد دعا النبي ﷺ على من كان هذا شأنه وديدنه فقال ﷺ: «**تعس عبد الدينار والدرهم**»[(٤)]، أي؛ سقط وهلك أو بُعدًا له.

---

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ٣٠٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما يُتقى من فتنة المال.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما يُتقى من فتنة المال.

والمال يمكن أن يكون على الإنسان إما نعمة وإما نقمة، بحسب نيته وطريقة تعامله فيه ونظرته إليه، فإن عمل فيه بما يحب الله ويرضاه ويتفق مع الشرع كان له نعمة وثوابًا في الدنيا والآخرة، وإن عمل فيه بعكس ذلك كان عليه نقمة وعقابًا في الدنيا والآخرة.

درجات المال:

لقد خلق الله عزَّ وجلَّ الخلق وجعل لكل إنسان رزقاً معلوماً قد قسمه الله له من فوق سبع سماوات؛ قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب. فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها. فاتقوا الله وأجملوا في الطلب. خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُمَ**»[2]، أي؛ إن لكل نفس رزقها المقسوم لها ولن تموت حتى تستوفي تمامًا ما قُسِم لها من الرزق وإن تأخر عنها أحيانًا، لذلك ترفقوا في سعيكم في طلب الرزق واحرصوا على أخذ ما حل لكم وترك ما حرم عليكم. وقال ﷺ: «**إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله**»[3].

و لم يجعل الله تعالى رزق الناس متساويًا بل جعله متفاوتًا، فوسَّع على هذا، وضيَّق على ذاك، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾[4]،

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤٣.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٣٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧١.

ورفع الله بعضهم فوق بعض درجات؛ فرفع هذا، وخفض ذاك؛ له الحكمة التامة في ذلك، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ولو لم يكن الرزق مقسومًا بقسمة قسَّام لا يمكن منازعته لنال المال كل العقلاء والأذكياء، و لم يتركوا شيئًا للجهلاء والأغبياء؛ بل إن ما يدل على أن الرزق بيد الله تعالى أنه قد يجتهد العاقل الذكي في طلب الرزق فلا يحصل على ما يريد ولا يجد مطلوبه، بينما يتيسر ذلك للجاهل الغبي وفي ذلك يقول الشافعي:

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

فلأن التدبير ليس للعباد لذلك تجد عالمًا فقيرًا محرومًا وأحمقًا غنيًا موسرًا، أما الجد والاجتهاد في طلب الرزق إنما يسهل ويحصل بناء على ما قسمه الله تعالى. ولو كان الناس جميعًا أغنياء لما استقامت الحياة، ولما تعاون الناس وتراحموا فيما بينهم، ولما دارت عجلة العمل، ولما خدم الناس بعضهم بعضاً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [1]؛ ومع ذلك فإن رحمة الله بخلقه خير مما يجمع الناس من الأموال ومتاع الحياة الدنيا.

فتنة المال:

إن صاحب المال ليس محظوظًا وسعيدًا وسالمًا من كل مشكلة كما يبدو للعيان، بل هو معرض للفتنة والاختبار في كل لحظة من حياته، والبلاء لا يكون

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

بالشر فحسب بل يكون أيضًا بالخير كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1]؛ فصاحب المال مبتلى بماله أيشكر الله على نعمه أم يكفر؟ قال عزَّ وجلَّ حاكيًا عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[2]؛ وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، أي؛ ليختبركم في الذي أنعم به عليكم، فيختبر الله عزَّ وجلَّ الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره.

فالمال فتنة عظيمة لمن ملك الكثير منه؛ فالإنسان الذي لم تتداركه رحمة الله تعالى فيتعامل مع المال بما يرضي الله ويؤدي ما افترضه الله عليه من العبادات والطاعات؛ فهو سيلهو بالمال وينشغل به عن عبادة ربه، والمال يجعل الرجل بطرًا أشرًا متكبرًا يتفاخر به على إخوانه من بني آدم، ويعين الرجل على ارتكاب المعاصي، وينشر الفساد في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4]، أي؛ الأموال والأولاد اختبار وامتحان من الله لكم

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها أم تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها منه؛ وأن ما عند الله من الأجر والثواب خير لكم من الأموال والأولاد؛ ولهذا حذَّر الله تعالى عباده المؤمنين من الانشغال بالأموال والأولاد عن عبادته، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا المال خضرة حلوة... من أخذه بحقه، ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو. وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع**»[2].

والناس في المال أربعة أصناف، قال النبي ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٍ رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي ربه فيه ويصل به رحمه، ويعلم لله فيه حقًا فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهو بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوزرهما سواء**»[3].

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما يُحذَر من زهرة الدنيا، والتنافس فيها.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٤.

المسلم والمال:

قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي: المال**»[(١)]، وقال ﷺ: «**إن هذا المال خضرة حلوة، ونِعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل، ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع، ويكون عليه شهيدًا يوم القيامة**»[(٢)].

فالمال محمود ومذموم؛ فهو يمكن أن يكون نعم الصاحب والرفيق للمسلم، بشرط أن يأخذه بحقه عن طريق العمل بالحلال، وإنفاقه في سبيل الله تعالى والأعمال الصالحة والعبادات كالحج والعمرة والجهاد، كما قال النبي ﷺ: «**نعم المال الصالح للمرء الصالح**»[(٣)]؛ فهو بإنفاقه للمال لا يستوي مع من لا ينفق؛ قال الله تعالى: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ﴾[(٤)]؛ وذلك لأنه أطاع أمر الله عزَّ وجلَّ بالإنفاق كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٠٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: فضل النفقة في سبيل الله.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٧٦٩٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧٥.

(٥) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾[1]. ولأنه قد علم وجوه الانتفاع من ماله في الدنيا فعمل بقول النبي ﷺ: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**»[2]؛ فاستخدم ماله في الاستعانة على العبادة، كالمطعم والملبس والمسكن وغيرها من ضرورات المعيشة التي إذا تيسرت تفرغ القلب للدين والعبادة، وما يتوصل به إلى العبادة فهو عبادة. وكذلك استخدمه في ضيافة الإخوان، وإعانة المحتاج منهم، وإهداء الهدايا إليهم، ودفع أجور الاستخدام في الأعمال التي يحتاج إليها، ولا يستطيع أن يقوم بها بنفسه، أو لو تولاها بنفسه لضاعت أوقاته وما استفاد منها في سلوك الآخرة. وكذلك صرفه فيما يعود إليه بالخير في الدنيا والآخرة من بناء للمساجد والطرق ونحو ذلك مما فيه منفعة للمسلمين.

ولأنه فهم مغزى سؤال النبي ﷺ وجوابه حين سأل ﷺ: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله**»؟ قالوا: يا رسول الله! ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «**فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر**»[3]، أي؛ أن ماله الذي ينفقه في وجوه الخير والبر لينتفع به في الدنيا والآخرة هو الذي يضاف إليه في الحياة وبعد الموت ويكون ماله، بخلاف المال الذي يتركه بعد موته فإنه يكون مال الورثة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما قدَّم من ماله فهو له.

ويمكن أيضًا أن يكون المال بئس الصاحب والرفيق للعبد إذا لم يأخذه بحقه عن طريق العمل الحلال بل جمعه من الحرام، أو إذا لم يدفع حق الله فيه من الزكاة والصدقة والإنفاق على ذوي القربى واليتامى والفقراء والمساكين وابن السبيل وغيرهم ممن لهم حق في ماله، أو إذا أنفقه في الحرام؛ أو ألهاه ماله عن ذكر الله وعن الصلاة؛ فهذا المال لا يبارك الله فيه، ويوم القيامة يشهد على صاحبه بما يؤدي به إلى العقاب.

ويمكن للمال أيضًا أن يجعل الإنسان من إخوان الشياطين فيما لو ارتكب العبد ما نهى الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[1]؛ والتبذير هو الإنفاق في غير حق، فالمبذر من أشباه الشياطين، والشيطان كافر جاحد منكر لنعمة الله عليه و لم يعمل بطاعة الله تعالى بل أقبل على معصيته ومخالفة أمره، وهكذا يكون المبذِّر؛ فبئس الصاحب والرفيق المال الذي يجعل من صاحبه هكذا.

وقد أباح الإسلام للمسلم أن يأخذ المال الذي يأتيه من جهة يعلم أن مالها حلال، ولكن بشرط أن يكون غير سائل له، ولا متطلعًا إليه حريصًا عليه؛ فقد قال النبي ﷺ: «**إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك**»[2]، وما لم يوجد فيه هذا الشرط فلا تعلق

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: من أعطاه الله شيئًا من غير مسألة ولا إشراف نفس.

النفس به؛ فإذا أخذ المسلم المال بسخاوة نفس من غير سؤال بارك الله له فيه، أما إذا أخذه بإشراف نفس وحرص عليه فلن يبارك له فيه، كما أخبر النبي ﷺ: «**إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع**»[1].

إن كل مسلم أعطاه الله من فضله ورزقه المال معرض للبلاء والمصائب في ماله لما في ذلك من الحكمة؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾[2]، فأخبرنا المولى عزَّ وجلَّ أنه تعالى يبتلي عباده بذهاب بعض الأموال وربما معظمها أو كلها امتحانًا لصبرهم وتقواهم كما قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3]؛ فجعل الله تعالى الصبر والتقوى عند وقوع المصيبة في المال والنفس من أقوى الأمور، ولهذا يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[4]؛ فالذين يصبرون عند الصدمة الأولى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

ويسترجعون لأنهم علموا أنهم ملك لله يتصرف فيهم بما يشاء وأنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة واعترفوا بأنهم عبيده وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1]؛ وليس هذا فحسب بل أخبر النبي ﷺ أنهم إذا دعوا الدعاء المناسب عند وقوع المصيبة فإن الله تعالى يخلف عليهم ويعوضهم خيرًا مما أصيبوا به في أموالهم أو غير ذلك؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها؛ إلا أخلف الله له خيرا منها**»[2].

أما سبب الابتلاء في المال فيمكن أن يكون لاختبار من يدَّعي الإيمان ويخطط لدخول الجنة، لأن الجنة ليست لكل من هب ودب وزعم أنه مؤمن، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[3]، فالإيمان ليست كلمة تقال باللسان، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣﴾[4]،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٤) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢-٣.

وتعد الزكاة إحدى وسائل اختبار إيمان العبد؛ فالصادق في دعوى الإيمان يُخرج زكاة ماله ويدفعها للمستحقين، أما الكاذب في دعوى الإيمان فيمتنع عن دفع الزكاة ويبخل بها؛ وقد بشَّره الله بالعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

ويمكن أن يكون سبب الابتلاء لتطهير العبد من الذنوب والخطايا حتى يلقى الله وما عليه خطيئة كما أخبر النبي ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**»[2]؛ وهذا من رحمة الله بالعبد وحب الخير له؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**»[3]. وقد يكون الابتلاء في المال أعظم من هذا فيكون الجزاء أيضًا أعظم؛ وهو أن يُقتل العبد وهو يقاتل عن ماله فيكون شهيدًا، قال ﷺ: «**من قُتِل دون ماله فهو شهيد**»[4]؛ ومعلوم أن الشهيد هو الوحيد الذي يتمنى الرجوع إلى الدنيا ليُقتل مرة أخرى لما يرى من كرامة الشهيد عند الله عزَّ وجلَّ، قال رسول

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤-٣٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٥٧.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٥٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: من قاتل دون ماله.

الله ﷺ: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة**»[1].

لقد حث الإسلام على القناعة بالرزق، وأن لا ينظر المسلم إلى من هو فوقه في المال والخَلق، ومن ذلك الأولاد والأتباع وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا، بل ينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضِّل هو عليه فإنه أحق أن لا يحقر نعمة الله عليه؛ فقال النبي ﷺ: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّلَ عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضِّلَ عليه**»[2].

بل أمر النبي ﷺ بالنظر إلى من هم أسفل ونهى عن النظر إلى من هم فوق فقال ﷺ: «**انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله** -قال أبو معاوية:- **عليكم**»[3]؛ قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فُضِّل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير[4].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه، ولا ينظر إلى من هو فوقه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي، ص: ٩٧/١٨.

ولذلك كان من الأفضل للمسلم إذا أراد أن ينظر إلى من هو فوقه أن ينظر إلى من هو فوقه في الدين فيجتهد للحاق به فيكون أبدًا في زيادة تقربه من ربه وترفع له درجاته في الجنة، ويتفضل الله عليه في الدنيا فيما فيه خير له في الدنيا والآخرة. ومن الأفضل للمسلم أن ينظر إلى من هو أسفل منه في الدنيا؛ فمهما كان مستواه المالي ضعيفًا فسيجد من هو أضعف منه في المستوى المالي وعندها سيعلم أن الله قد أنعم عليه وفضَّله على كثير من الناس من غير أن يكون له خاصية في ذلك، وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فيلزم نفسه بشكر الله على هذه النعمة فيكون ذلك خيراً له في الدنيا والآخرة، وقد قال النبي ﷺ: «**كن قنعًا تكن أشكر الناس**»[1]؛ لأن العبد إذا قنع بما أعطاه الله رضي بما قسم له، وإذا رضي شكر، وإذا شكر زاده الله من فضله جزاء لشكره، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2]؛ فتكون القناعة من هذا المنطلق سببًا لزيادة الرزق والمال.

أما إذا أبى الإنسان إلا أن ينظر إلى من هو فوقه في الدنيا وإلى من هو أكثر مالاً منه فلن يأمن أن يصاب بمرض الحسد الذي يضره ولا يضر المحسود، وليس هناك دواء لهذا المرض إلا ما وصفه له النبي ﷺ وهو النظر إلى من هو أسفل منه في الدنيا فيشكر الله ولا يكفر نعمته. ويروى عن عون بن

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٥٨٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

عبد الله بن عتبة قال: صحبت الأغنياء فلم أر أحدًا أكبر همًا مني، أرى دابة خيرًا من دابتي، وثوبًا خيرًا من ثوبي، وصحبت الفقراء فاسترحت. ولهذا كتب عمر بن الخطاب ﷺ هذه الرسالة إلى أبي موسى الأشعري ﷺ: واقنع برزقك من الدنيا فإن الرحمن فضَّل بعض عباده على بعض في الرزق بلاء يبتلي به كلا، فيبتلي من بسط له كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**قد أفلح من أسلم، ورُزِق كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه**»[1]؛ والكفاف هو الكفاية بلا زيادة ولا نقص، وقد كان ﷺ يدعو الله عزَّ وجلَّ فيقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**»[2]، والقوت هو ما يسد الرمق، وفي الحديث فضيلة التقلل من الدنيا والاقتصار على القوت منها والدعاء بذلك، كما قال النبي ﷺ: «**خير الرزق ما يكفي**»[3]، بل إن القوت يعدل ثلث هذه الدنيا كما يُفهم من قول النبي ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**»[4]، أي؛ من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه وكفاف عيشه فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا فكأنما أعطي الدنيا بأسرها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر والقناعة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر والقناعة.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٦٢٣، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩١٣.

ومهما كان المسلم صحيحًا معافى في بدنه فذلك خير له من الغنى؛ فقد جاء النبي ﷺ وعلى رأسه أثر ماء فقال له بعض الصحابة: نراك اليوم طيب النفس، فقال: «**أجل والحمد لله**» ثم أفاض القوم في ذكر الغنى. فقال: «**لا بأس بالغنى لمن اتقى. والصحة لمن اتقى خير من الغنى. وطيب النفس من النعيم**»[1]؛ فقوله ﷺ بأنه لا بأس بالغنى لمن اتقى؛ لأن الغنى بغير تقوى فيه الهلاك والضلال، فهو لا يبالي من أين يأتيه المال وقد يجمعه من غير حقه وينفقه في غير حقه، أما إذا كان الغني تقيًا فقد ذهب البأس وجاء الخير، فهو يجمعه من الحلال، ويصون به نفسه وعرضه، ويحمي به مروءته، ويتقرب به إلى الله بإنفاقه في وجوه الطاعات، وهو حسبه وسلاحه في الزمن العصيب والظرف الشديد؛ قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق...**»[2]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حسب الرجل ماله. وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ـــ وهو من أغنياء الصحابة ـــ: يا حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي.

وقوله ﷺ بأن الصحة لمن اتقى خير من الغنى؛ لأن في صحة البدن عون على العبادة، والصحة مال ممدود لا يُقَدَّر، فكم تقبل من المال مقابل ما تملك من أعضاء جسمك الداخلية والخارجية الصحيحة؟ لقد كان لأحدهم مالٌ كثيرٌ من التجارة فكسدت تجارته وخسر كل ما أدخره من المال وأصابه من القلق

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: إنفاق المال في حقه.

والهم ما أصابه حتى أوشك الإيمان أن يطير من قلبه، وفي أحد الأيام رأى رجلاً مقطوع الساقين يجلس على عارضة خشبية ويستعين بيديه ليعبر الطريق، وبعد جهد جهيد وصل إلى الرصيف وابتسم في وجهه ابتسامة عريضة وسلَّم عليه؛ وفي هذه اللحظة أدرك كم هو غني بالنسبة إليه، فله ساقان يستطيع السير عليهما ولا يقبل أن يبيعهما بملايين الريالات فخجل من شعوره الذي قربه من اليأس. فما أقل ما يفكر الإنسان فيما لديه من نعم بدنية لا يرضى أن يبيع الواحدة منها بالملايين، وما أكثر ما يفكر بما ينقصه ولو كان بدراهم معدودة أو بقليل من الدنانير.

فالمريض عاجز، والعاجز كالميت، ولهذا كانت الصحة مع الفقر أغلى بكثير وخير من الغنى مع المرض والعجز؛ فكم من غني ولكنه مريض عاجز وهو على استعداد أن يدفع جميع أمواله مهما بلغت من أجل الشفاء من المرض والحصول على الصحة؟ فالصحة لا تقدر بثمن وهي خير من الغنى والثراء مهما بلغ، وهي أفضل شيء بعد اليقين: «**سلوا الله المعافاة، أو قال: العافية، فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية أو المعافاة**»[1].

فعلى الإنسان أن يعد نعم ربه عليه وأن يتفكر بما وهبه الله له من الأعضاء السليمة الخارجية أو الداخلية التي تعمل بمشيئة الله بصورة مستمرة وفق نظام دقيق وما يتمتع به من الصحة والعافية وهو شيء لا يُقدَّر ولا يعدله أموال الدنيا كلها، وبالتالي يشكر الله على هذه الهبات ويقنع بما قدره الله له من رزق ومال فإن الله

(١) مسند أحمد، رقم: ٥، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

تعالى أعلم بحاله وبما يصلح له، والقناعة كنز لا يفنى، وإذا ظهر له أن ما لديه قليل فليعلم أنه لو ملك واديين من الذهب لظهرا له أيضًا أنهما قليلان كما أخبر النبي ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**»[1].

وليذكر أنه لو بلغ من الغنى ما بلغ لما استطاع أن يخرق الأرض، أو يبلغ الجبال طولاً، أو يأكل أكثر من ثلاث وجبات في اليوم، أو ينام في أكثر من فراش واحد في الوقت نفسه.

ولا شك أن من يقنع برزقه يعيش سعيدًا راضيًا ناجحًا في حياته، ولا شك أيضًا في أن القناعة والرضا أسهل من الناحية العملية والنفسية من السخط والتذمر.. وإذا بحث الإنسان عن الأشياء التي ترضيه فسيجدها بسهولة أكثر من تلك الأشياء التي لا ترضيه. والقناعة لا تعني العجز أو الكسل وعدم الطموح، فقد كان رسول الله ﷺ يتعوذ منهما؛ قال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل**»[2]، ولا تعني الاستسلام للأمر الواقع دون السعي في طلب الرزق والعمل الجاد للنجاح، ولكن تعني القناعة بما رزقه الله تعالى نتيجة سعيه، وإذا أراد المزيد فعليه أن يبذل المزيد من الجهد.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما يُتقى من فتنة المال.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٢٨٥.

وقد كان رسول الله ﷺ يخشى على أمته من الدنيا التي ليس لها قدر عند الله ومع ذلك يقتل الناس بعضهم بعضًا من أجلها، قال ﷺ: «**فأبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»[1]. فالتنافس من المنافسة وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه، ويقع الهلاك بسبب أن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك. قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها.

وبيَّن ﷺ عاقبة من تكون الآخرة همه ومن تكون الدنيا همه فقال ﷺ: «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له**»[2]. فالغنى الحقيقي هو غنى النفس وليس كثرة المال، قال ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغنى غنى النفس**»[3]، قال ابن بطال: معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال؛ لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة

(1) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: ١٢.

(2) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٠٠٥.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: الغنى غنى النفس.

حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب، فكأنه غني.

وقال القرطبي: معنى الحديث إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنـــزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه، فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل. وقال ابن حجر: وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب بأن يفتقر إلى ربه في جميع أموره، فيتحقق أنه المعطي المانع فيرضى بقضائه ويشكره على نعمائه ويفزع إليه في كشف ضرائه، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غير ربه تعالى، والغنى الوارد في قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ يتنـــزل على غنى النفس، فإن الآية مكية ولا يخفى ما كان فيه النبي ﷺ قبل أن تُفتح عليه خيبر وغيرها من قلة المال[1].

قال رسول الله ﷺ: «**اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت؛ والموت خير للمؤمن من الفتنة. ويكره قلة المال؛ وقلة المال أقل للحساب**»[2].

---

(١) فتح الباري للعسقلاني، ص: ١١/٢٧٢-٢٧٣.

(٢) مسند أحمد، رقم: ٢٣٥١٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

الكافر والمال:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، أي؛ يعطي المال لمن يحب ولمن لا يحب، فيفقر من يشاء، ويغني من يشاء، يضيق على هذا ويقتر على هذا، ويبسط على هذا من المال كثيرًا، وله الحجة القاطعة الدامغة، والحكمة التامة البالغة التي لا يدركها غيره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

نعم؛ فكثير من المسلمين يَشْكل عليهم وضع الكفار فيما يتعلق بما هم فيه من النعم والمال الجزيل بالرغم من كفرهم بالله أو الشرك به، وهذا ليس على مستوى الأفراد فحسب، بل هو أيضًا على مستوى الدول حيث يُطلق على الدول الكافرة الغربية أنها الغنية المتقدمة، ويصنفون الدول الإسلامية ضمن العالم الثالث الفقير المتأخر، ولا غرابة في ذلك فالمسألة في غاية البساطة ما دام لدينا ما إن تمسكنا بهما لن نضل أبدًا وهما كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، فالجواب على سبب غنى الكفار وكثرة النعم والأموال لديهم مع كفرهم بالله والشرك به متوفر في القرآن والسنة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولا غرابة في أن تُشكِل هذه المسألة على المسلمين البسيطين فقد أشكلت على من كان من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٦.

قال: تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدَم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرَظًا مصبوبًا، وعند رأسه أَهَب معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال: «**ما يبكيك**»؟ فقلت: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»؟ [1]. وفي رواية أخرى يقول عمر رضي الله عنه: فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف. فسلمتُ عليه... ثم رفعتُ بصري في بيته، فوالله ما رأيتُ فيه شيئًا يرد البصر غير أهبة ثلاث، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وُسِّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله. وكان متكئًا فقال: «**أوَفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**»، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي» [2].

وما أجاب به النبي ﷺ على تساؤل عمر هو الجواب الشافي الوافي لكل من يرى أنه فقير أو ماله قليل بالرغم من إيمانه بالله وطاعته له ويتساءل عن غنى الكفار وكثرة المال لديهم بالرغم من كفرهم وشركهم بالله أو عصيانهم له تعالى؛ وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ [3]،

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا..﴾.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

أي؛ اختبرنا بعضكم ببعض وبلونا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع ممن يعصي، من يشكر ممن يكفر.

لقد خلق الله تعالى الجنة والنار وجعل لكل منهما أهلها الذين يستحقون أن يخلدوا فيها أبد الآباد، فالجنة لا يدخلها إلا المؤمنون الذين شهدوا لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة وعبدوا الله وأطاعوه وماتوا على ذلك، والنار يدخلها كل من كفر بالله وعصاه ومات على ذلك، ولكنَّ مِنْ عَدْل الله عزَّ وجلَّ الذي يجزي الحسنة بعشرة أمثالها إلى مئات الأضعاف أن يجزي كل إنسان على ما فعل من معروف وإحسان إلى خلقه حتى وإن كان كافرًا.

فهناك صنف من الكفار يعملون المعروف، ويتصدقون على الفقراء، ويصرفون من أموالهم في وجوه الخير والبر، ولكن لأن الجنة محرمة على الكافرين ولا يمكن أن يدخلها الكافر لينال جزاء معروفه وإحسانه فإن الله تعالى يعجِّل له الجزاء في الدنيا التي هي جنته كما أخبر النبي ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[1]، حتى إذا صار الكافر إلى الآخرة لم يجد شيئًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]، أي؛ حكمة الله جلَّ جلاله في الكفار أنه يريد بمشيئته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبًا في الآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.

ولهذا نهى الله جلَّ جلاله المؤمن عن النظر إلى أموال الكفار، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1]، أي؛ لا تنظر إلى هؤلاء الأغنياء وما هم فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلة لنختبرهم فيه وما عند الله خير وأبقى؛ فالمال عند الكافر يكون أيضًا فتنةً واختبارًا له، ثم إن إغداق الله عزَّ وجلَّ الأموال الطائلة على الكافر لدليل على هوان الدنيا عند الله وأنها لا تساوى جناح بعوضة. قال النبي ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[2]؛ فهذا مثل للقلة والحقارة، فلو كان للدنيا أدنى قدر عند الله ما متع الكافر منها أدنى تمتع، فإن الكافر عدو الله والعدو لا يُعطى شيئًا مما له قدر عند المعطي، ولهذا فإن الله عزَّ وجلَّ قد يرزق الكافر المال الكثير ويُطَوِّل له ما هو فيه وما ذلك لكرامته ومعزته عند الله، وإنما يفعل الله به ذلك استدراجًا وإملاء؛ قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾[3].

والكافر نفسه أيضًا يفتخر بكثرة الأموال، ويظن أن ما أعطاه الله من الأموال فذلك لكرامته ومعزته عند الله، ويعتقد أن ذلك دليلاً على محبة الله تعالى

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣١.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٨٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٨٢-١٨٣.

له واعتنائه به، وبالتالي فلن يعذبه الله لأنه تعالى ما كان ليعطيه ذلك في الدنيا ثم يعذبه في الآخرة؛ كما حكى الله تعالى قولهم فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[1]، فردَّ الله تعالى عليهم: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾[2]، أي؛ لقد أخطؤوا وخاب رجاؤهم فليس الأمر كما يزعمون أنهم ليسوا بمعذبين لكونهم أكثر أموالاً وأولادًا، إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإملاءً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[3]؛ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[4]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝١٧﴾[5].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥-٥٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٥) سورة المدثر، الآيات: ١١-١٧.

بل قد يفتح الله على الكفار كل ما يختارون من أبواب الرزق حتى إذا فرحوا بذلك أخذهم الله على غفلة وقطع دابرهم كما أخبر تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1]. قال قتادة: بَغتَ القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرهم وغرهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون.

ثم إن هذه الأموال لن تغني عنهم من الله شيئًا ولا تقربهم إلى الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[3]، أي؛ ليست هذه دليلاً على محبة الله لهم ولا اعتنائه بهم، إنما يقربهم عند الله عزَّ وجلَّ زلفى الإيمانُ والعملُ الصالح. وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٤-٤٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٦.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

وقد ضرب الله عزَّ وجلَّ في سورة الكهف مثلاً لمن أعطاه الله مالاً كثيرًا فظلم نفسه بكفره وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد، وافتخر على صاحبه وجادله فقال له: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرًا. ولما رأى ما رزقه الله تعالى من الجنتين وما فيهما من الأعناب والنخل والزروع والثمار والنهر الذي يجري بينهما ظن أنهما لا يبيدا ولا يفنيا أبدًا؛ وذلك لإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وضعف يقينه بالله، وأنكر قيام الساعة، وقال بأنه حتى وإن كان هناك معاد ومرد إلى الله فسيكون له هناك أحسن مما لديه في الدنيا لأنه لولا كرامته على الله ما أعطاه هذا في الدنيا، فوعظه صاحبه المؤمن وزجره عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار، ونصحه بأن يذكر الله حين يدخل جنته ويعجبه ما فيها ويحمد الله على ما أنعم به عليه من المال والولد وأن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ثم دعا المؤمنُ على جنة صاحبه الكافر بأن يرسل الله عليها العذاب من السماء فتخرب جزاء كفره بالله وجحوده نعم الله تعالى، فوقع بجنة الكافر ما خوفه به المؤمن من الدمار والهلاك وعند ذلك أخذ الكافر يصفق كفيه متأسفًا على ما أنفقه في الجنة ويقول: يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا.

وقارون الذي آتاه الله من الأموال الكثيرة التي يثقل حملها على مجموعات من الرجال الأقوياء، فقد وعظه قومه ونصحوه وقالوا له: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين؛ فاستكبر وقال بأن الله تعالى إنما أعطاه هذا المال لعلمه أنه يستحقه ولمحبة الله له.

فماذا كان مصير قارون؟ لقد خرج ذات يوم على قومه في موكب عظيم وزينة باهرة مفتخرًا على قومه، فخسف الله جلَّ جلاله بقارون وبداره الأرض، فما أغنى عنه ماله من الله شيئًا. قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾[2].

بل لولا وجود كثير من الناس الذين إذا رأوا الكافر قد وسَّع الله عليه ورزقه الأموال الطائلة يظنون أنه لولا أنه يستحق ذلك لما أُعطي، أو يعتقدون أن ذلك لمحبة الله له فيختارون الكفر لأجل المال لرزق الله عزَّ وجلَّ الكافر أعظم كثيرًا مما رزقه من الأموال؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا

(١) سورة القصص، الآيتان: ٨١-٨٢.

(٢) سورة الهُمزة، الآيات: ٢-٩.

﴿يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾[1]، وما ذلك أيضًا إلا لهوان الدنيا على الله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[2]، وقال النبي ﷺ: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم فلينظر بم ترجع**»[3]؛ فمهما رزق الله الكافر من الأموال فذلك ليس إلا من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله تبارك وتعالى التي يعجل الله تعالى فيها للكافر حسناته التي يعملها في الدنيا مآكل ومشارب وملابس ومناكح ليوافي الآخرة وليس له عند الله عزَّ وجلَّ حسنة يجزيه بها، لأن الآخرة للمتقين خاصة لا يشاركهم فيها أحد غيرهم.

ثم هناك من الكافرين الذين رزقهم الله المال الكثير ولكنهم ينفقونه في محاربة الله ومحاربة دينه؛ فهؤلاء لا يعلمون أنهم ينفقون أموالهم ثم تذهب ثم يكون نصيبهم من ذلك التحسر والندم على كل درهم أنفقوه في محاربة دين الله؛ لأن أموالهم لم تحقق الهدف الذي أُنفقت من أجله و لم تنفع في إطفاء نور الله لأن ذلك مستحيل، ومثلهم في ذلك كمثل من ينفخ الهواء بفمه يريد أن يطفئ الشمس،

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٣٣-٣٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

قال جلَّ جلاله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾[1]؛ ثم هم بعد كل هذا الخزي في الدنيا سيُغلبون ويوم القيامة إلى جهنم يُحشرون؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[2].

ثم إن مصير الكفار يوم القيامة بئيس جدًا، ولن تغني عنهم أموالهم شيئًا أو تفديهم من العذاب، بل إنهم لو أنفقوا ما في الأرض جميعًا ليفتدوا به من عذاب الله ما تقبل الله منهم، بل لا محيص ولا مناص من العذاب الأليم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وبالجملة فإن من يختار الفاني على الباقي ويختار الدنيا العاجلة على الآخرة فإن الله تعالى يعجِّل له فيها ما يشاء، إذا أراد عزَّ وجلَّ له ذلك، ثم تكون عاقبته

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٨-٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٦.

جهنم يدخلها مبعدًا حقيرًا ذليلاً مهانًا؛ قال جلَّ جلاله: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

ومن اختار الدار الآخرة وما فيها من النعيم، وعمل لها عملها من العبادات والطاعات واتباع رسول الله ﷺ وهو مؤمن مصدق بالثواب والجزاء فأولئك كان سعيهم مقبولاً مشكورًا ومضاعفًا، والله عزَّ وجلَّ يرزق من اختار الدنيا ومن اختار الآخرة وما كان رزق الله تعالى ممنوعًا ولا يستطيع أن يرده أحد عن أحد، وإذا كان الله تعالى قد فضَّل بعض عباده على بعض في الرزق في الدنيا فمنهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم بين ذلك فالدرجات والتفضيل في الآخرة سيكون أكبر مما كان في الدنيا لصالح المؤمنين، فالكافر وإن وسَّع الله عليه الرزق في الدنيا مرة، وقتَّر على المؤمن مرة؛ وفاوت بينهما في الرزق، فالآخرة هي للمؤمنين وتقسم لهم بحسب أعمالهم التي عملوها لها، وليس للكافر فيها نصيب إلا نصيب العذاب في جهنم، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن

(١) سورة الإسراء، الآيات: ١٨-٢١.

﴿كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1]، وسيكون التفاوت والتفضيل في الآخرة بين المؤمنين والكافرين أكبر؛ فمنهم من يكون في الدرجات العلى من الجنة، ومنهم من يكون في الدركات السفلى من النار؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[2].

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٢.

كيف

تكسب المال

كيف تكسب المال ؟

إن الله عزَّ وجلَّ هو الرزاق المعطي، وقد جعل تعالى لكسب الرزق والمال أسبابًا دينية وأسبابًا مادية، أما الأسباب المادية فمعروفة وهي عن طريق الحركة والعمل والسعي في طلب الرزق، وأما الأسباب الدينية فهي أهم من الأسباب المادية بل هي أساسها وسبب تسهيلها، فمن اتخذها وعمل بما أمره الله به وترك ما نهى الله عنه كان حقًا على الله أن ييسر له كسب المال بواسطة الأسباب المادية من عمل أو وظيفة أو بيع أو تجارة أو غير ذلك من الأسباب والوسائل التي أباحها الله جلَّ جلاله.

ويخطئ من يعتقد أن المال يُكتسب بهذه الوسائل المادية فقط، وإلا لما استخدم إنسان هذه الوسائل إلا وصار غنيًا، ولما سمعنا عن فشل كثير من الناس في أن يصبحوا أغنياء بالرغم من حرصهم وانشغالهم طوال عمرهم في استخدام هذه الوسائل المادية، بل وبعضهم ممن يستخدم وسيلة البيع والتجارة أو أعمال البناء ونحو ذلك يفلس ويوضع في السجن !.

إذن لا بد أن هناك أسبابًا ووسائل أخرى لاكتساب الرزق والمال أقوى من الأسباب والوسائل المادية، وهي التي تبارك فيها وتسهل عملها وتسبب النجاح فيها بإذن الله تعالى؛ ألا وهي الأسباب والوسائل الروحية والأعمال القلبية والبدنية الدينية؛ وهذه بعض منها:

١ - عمل الصالحات:

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٢].

يضع الله تبارك وتعالى شرطًا وجوابه؛ فأما الجواب فهو حياة طيبة وهي الرزق الحلال الطيب؛ كما فسره ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك وغيرهم. وقيل: الحياة الطيبة تشتمل وجوه الراحة من أي جهة كانت. وأما الشرط فهو العمل الصالح المبني على الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ؛ فمَنْ يُرد الحصول على الجواب والحياة الطيبة في الدنيا ثم الجزاء في الآخرة بأحسن ما كان يعمل فيجب عليه أن ينفِّذ الشرط، وهو القيام بالأعمال الصالحة المتابعة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ وهذا وعد من الله عزَّ وجلَّ، ووعد الله نافذ.

وقد أكد رسول الله ﷺ هذا السبب لكسب الرزق والمال، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الكافر إذا عمل حسنة أُطعِمَ بها طُعمَةً من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يَدَّخِرُ له حسناته في الآخرة، ويُعقِبُهُ رزقًا في الدنيا**»[٣]، فالله يجزي المؤمن

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة.

والكافر أيضًا بالرزق في الدنيا على ما يعملانه من حسنات ولكن الفرق بينهما أن المؤمن له زيادة على الكافر، وأي زيادة؟! إنها الجنة التي يجزيه الله بها على حسناته التي عملها على قاعدة الإيمان بالله تعالى.

ومن الأعمال الصالحة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والبعث والنشور، والميزان، والجنة والنار؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1]؛ فإن آمنوا أتاهم الرزق من كل مكان ومن حيث لم يحتسبوا، وإن كذَّبوا أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وأهلكهم كما أهلك القرون الأولى التي كانت أكثر منهم قوة وأموالاً، والإيمان بالله يجب أن يقر في القلب وينطق به اللسان ويصدقه العمل بالبدن، بشهادة أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقامة الصلاة، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[2]، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام عند الاستطاعة إليه سبيلاً.

فمن عمل هذه الأعمال الصالحة استحق أن يكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين كرر الله عزَّ وجلَّ ذكرهم في كتابه العزيز عشرات المرات؛

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

واستحق أن يحييه الله تعالى في الدنيا حياة طيبة يجد فيها الراحة من كل الجهات، ويأتيه الرزق الحلال الطيب من خير الرازقين، واستحق كذلك أن يحييه الله تعالى حياة طيبة في الدار الآخرة وأن يجزيه أجره بأحسن ما كان يعمل.

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير الخليقة الذين رضي الله عنهم وهو مقام أعلى مما يؤتون من النعيم المقيم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝ ﴾[1].

٢ - تقوى الله عزَّ وجلَّ:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[2]. والتقوى هي التشمير والاجتهاد في طاعة الله تعالى، وتحصل التقوى بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته، فقد قال رسول الله ﷺ: «**التقوى ههنا**»، ويشير إلى صدره ثلاث مرات[3]، وفي رواية: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» وأشار بأصابعه إلى صدره[4].

---

(١) سورة البينة، الآيتان: ٧-٨.

(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

وقيل: التقي هو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى، مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزًا بينك وبينه. وقيل: رجل تقي، أي؛ خائف. وأصل التقوى التوقي مما يكره؛ لأن أصلها: وقوى، من الوقاية. وقيل: المتقي مَنْ إذا قال قال لله، ومَنْ إذا عمل عمل لله. وقال ابن عباس: هم المؤمنون الذين يتقون الشرك بي ويعملون بطاعتي. وقال أيضًا: الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به. وقد قيل: إن عمر بن الخطاب ﷺ سأل أُبَي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى.

وقد أخبر الله عزَّ وجلَّ أنه يحب المتقي وهو الأكرم عنده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1]، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[2]، والتقوى فيها جماع الخير كله، وهي وصية الله في الأولين والآخرين، وهي خير ما يستفيده الإنسان؛ قال الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[3]. ولما كانت التقوى سبباً للربح والفلاح في الدنيا والآخرة أمر الله عزَّ وجلَّ عباده بأن يتقوه فقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4]،

(١) سورة التوبة، الآية: ٤.

(2) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(3) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

وكذلك أمر رسول الله ﷺ بالتقوى فقال عليه الصلاة والسلام: «**اتق الله حيث ما كنت**»[1].

إن تقوى الله تعالى سبب في حصول الرزق وكسب المال ومجيئه من حيث لا يدري الإنسان؛ وقد تلا النبي ﷺ على أبي ذر هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ثم قال له: «**يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم**»[2]، أي؛ لو أن جميع الناس حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا به فيما يحتاجونه من مصالح دينهم ودنياهم. فمن يتق الله تعالى في السر والعلن، ويتق الشرك بالله ويعمل بطاعة الله فإن الله عزَّ وجلَّ يجعل له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن جهة لا تخطر بباله، وييسر له أموره؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[3].

وإلى جانب ذلك فقد أخبر الله تعالى أنه ولي المتقي، وأنه معه، وأنه يتقبل منه، وأنه يكفِّر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا، وأنه ينجيه، وأنه لا خوف عليه ولا هو يحزن، وأن الآخرة له، وأن له جنات ونعيماً وأجراً عظيماً، وأنه في مقام أمين، وأنه هو الفائز.

فمع هذا الرزق في الدنيا فإن الله تعالى يجازي المتقي في الآخرة بما هو أعظم من هذا الرزق الدنيوي الفاني، يرزقه جنات ونَهَر؛ جزاء من ربك عطاءً حسابًا؛

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦١٨.

(٢) مسند أحمد، رقم: ٢١٤٤٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٤.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[1].

٣ - التوكل على الله:

قال رسول الله ﷺ: «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته. ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**»[2]، وفي رواية: «**ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى عاجل**»[3]؛ فمن أصابته شدة حاجة فترك عرضها على الناس ولم يشك حاله إليهم ولم يعتمد عليهم في إزالة فاقته لأنهم يعجزون عن جلب النفع لأنفسهم ودفع الضرر عنها، بل توجه بالدعاء إلى الله القادر على حوائج جميع الخلق الذي لا يُغلق بابه، واعتمد على الله وتوكل عليه في سد فاقته فإن الله عزَّ وجلَّ يُسرِّع غناه ويعجله برزق عاجل من حيث لا يدري أو رزق آجل، وفي شرح قوله «**بموت عاجل**» قيل: بموت قريب له غني فيرثه. قال الله تعالى: ﴿ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[4].

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٥.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٤٤٨.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٢.

إن الله عزَّ وجلَّ هو الرزاق؛ وقد بيَّن تعالى للكفار أن ما يعبدونهم من دون الله لا يستطيعون أن يرزقوهم بشيء لأن الرزق بيد الله سبحانه وتعالى وهو المعبود الحق الذي يستحق العبادة والشكر وطلب الرزق منه، وهو الذي إليه الرجوع بعد الموت؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]؛ وذلك لأن الله تبارك وتعالى هو الذي يخلق ثم يرزق، وهو الذي يميت ثم يحيي، ولا يقدر على فعل شيء من ذلك أحد من شركاء الكفار الذين يعبدونهم من دونه سبحانه؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

فالله عزَّ وجلَّ هو المستقل بالخلْق والرزق والإماتة بعد هذه الحياة، والإحياء بعد الموت يوم القيامة، وهو تعالى إن أمسك الرزق عن أحد فلا يقدر على الرزق أحد غيره؛ قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾[3]؛ لأن رزق كل إنسان بل كل حيوان عند الله سبحانه وتعالى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[4].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢١.

(٤) سورة هود، الآية: ٦.

وقال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم كنتم توكّلون على الله حق توكله لرُزِقتم كما تُرزَق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا**»[1]؛ فهذا الحديث أصل في التوكل، وإنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق؛ ومعناه أنه لو كنتم تعتمدون على الله متيقنين بأنه لا فاعل إلا هو، وأنه لا معطي ولا مانع إلا هو، وأن الخير بيده وحده، ثم تسعون في طلب الرزق بالتوكل عليه لرزقكم كما يرزق الطير التي تذهب أول النهار جياعًا وترجع آخر النهار شباعًا كبيرة البطن؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2].

إن «التوكل» نصف الدين وهو الاستعانة، وهو عمل قلبي ليس بقول لسان ولا عمل جارحة، ولا هو من باب العلوم والإدراكات. وأفضل التوكل: التوكل في واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس؛ وأوسعه وأنفعه: التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية، أو في دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين في الأرض، وهذا توكل ورثتهم. ثم الناس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم، فمن متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل في حصول رغيف. ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله. فإن كان محبوبًا له مرضيًا كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطًا مبغوضًا كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه، وإن كان مباحًا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه؛ إن لم يستعن به على طاعاته.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩١١.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.

ويفسر البعض التوكل بالثقة بالله، والطمأنينة إليه، والسكون إليه. ويفسره آخرون بالرضى بالمقدور، قال بعض الصالحين: يقول أحدهم: توكلت على الله، يكذب على الله، ولو توكل على الله، رضي بما يفعل الله. وهناك تفسيرات كثيرة للتوكل[1].

وتحقيق التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، والسعي في طلب الرزق، فالتوكل لا يصح إلا مع القيام بذلك، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد؛ فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾[3]، أي؛ امشوا وسافروا حيث شئتم من الأرجاء والأقاليم والبلاد والمدن واسعوا في طلب أنواع المكاسب والتجارات والأعمال المختلفة التي أحلها الله لكي تَدرَّ عليكم ما يلزمكم من المال الحلال، وتأكلوا من رزقه، فالطير مع توكلها على الله عزَّ وجلَّ وهو المسخِّر المسيِّر المسبِّب فهي تسعى وتغدو وتروح لطلب الرزق؛ فالتوكل ليس التبطل والتعطل، بل لا بد فيه من التوصل بنوع من السبب؛ لأن الطير ترزق بالسعي والطلب.

---

(١) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، ص: ٢/١١٤-١١٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.

واعلموا أن سعيكم لا ينفعكم بشيء إلا بشيء قد كتبه الله ويسره لكم؛ فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر شيء فبتيسيره، لأن الكسب ليس برازق، بل الرازق هو الله جلَّ جلاله، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾. ومن أجل ذلك كان من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها. فقد يرزق الله بعض عباده صدق يقين وتوكل فيخرق لهم العوائد ويرزقهم الله من عنده ولا يحوجهم إلى الأسباب المعتادة، كما كان الطعام والفاكهة تأتي مريم عليها السلام في غرفتها التي انقطعت فيها للعبادة، وكما كان الطعام يأتي بعض أولياء الله في حالات مشابهة.

كما أن التوكل على الله حق التوكل أن لا يُجعل التوكل سببًا لحصول الرزق وغيره، فذلك كمن أتى سائر الأسباب لاستجلاب الرزق وهذا نوع نقص في تحقيق التوكل، وإنما حقيقة التوكل العلم بأن الله قد ضمن لعبده برزقه وكفايته فيصدَق الله فيما ضمنه ويوثق به بالقلب ويحقَق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير إخراج التوكل مخرج الأسباب في استجلاب الرزق به، والرزق مقسوم لكل واحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر، فما دام العبد حيًا فرزقه على الله.

٤ - الإكثار من الاستغفار:

قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ

وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَرًا ﴿١٢﴾ ﴾[1]؛ يخبر الله تعالى عن رسوله نوح أنه قد أعلن لقومه أنهم إن استغفروا الله ورجعوا إليه ورجعوا عما هم فيه وتابوا إليه، تاب عليهم ولو كانت ذنوبهم مهما كانت في الكفر والشرك، ويرسل الله عليهم الأمطار متواصلة يتبع بعضها بعضًا، ويمددهم بأموال ويكثر عليهم الرزق، ويسقيهم من بركات السماء، وينبت لهم من بركات الأرض، وينبت لهم الزرع، ويدر لهم الضرع، ويعطيهم الأموال والأولاد، ويجعل لهم جنات فيها أنواع الثمار، ويخللها بالأنهر الجارية بينها.

ففي هذه الآية دليل على أن الاستغفار يستنـــزل به الرزق والأمطار وقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه استسقى فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية ثم قال: «لقد طلبت المطر بمجاديح السماء[2] التي يستنـــزل بها المطر». وقال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا؛ فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه؛ فقال له: استغفر الله. فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئًا؛ إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

(٢) مجاديح السماء: أنواؤها، (القاموس المحيط). قال ابن الأثير: أراد عمـــر ﷺ إبطـــال الأنـــواء والتكذيب بها؛ لأنه جعل الاستغفار هو الذي يُستسقى به، لا المجاديح والأنواء التي كانوا يستسقون بها.

عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا ﴾[1]؛ فالمتاع الحسن هو ثمرة الاستغفار والتوبة، أي؛ يمتعكم بالمنافع ثم سعة الرزق ورغد العيش.

قال رسول الله ﷺ: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[2]؛ أما الاستغفار فإنه يكون عن إخلاص وإقلاع من الذنوب؛ وهو الأصل في الإجابة. والاستغفار عظيم وثوابه كبير، حتى إن النبي ﷺ قال: «**من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر الله له وإن كان فرَّ من الزَّحف**»[3]، ومع أن النبي ﷺ كان معصومًا و لم يقع في معصية فقد كان يواظب على تكرار الاستغفار كل يوم؛ قال ﷺ: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[4]، فما بالك بمن دونه من الناس الذي لا يسلم من الوقوع في الذنوب والمعاصي، ممن قال عنهم النبي ﷺ: «**كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التَّوَّابون**»؟[5]، فهو أحوج إلى تكرار الاستغفار من تكرار النبي ﷺ، والله عزَّوجلَّ

(١) سورة هود، الآية: ٣.
(٢) مسند أحمد، رقم: ٢٢٣٤، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٣١.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة.
(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٠٢٩.

يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2].

ولهذا أخبر النبي ﷺ أنه: «**ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**» **ثم قرأ هذه الآية:** ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ إلى آخر الآية[3]. وقوله ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أي؛ ليس أحد يغفر الذنب ولا يزيل عقوبته إلا الله، وقوله: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾، أي؛ لم يثبتوا ويعزموا على ما فعلوا، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها، والإصرار هو العزم بالقلب على الأمر وترك الإقلاع عنه، بل تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه وهم يعلمون أن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه؛ قال رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربه عزَّ وجلَّ: «**أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ**

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٤٦.

بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك»[1]، أي؛ ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك.

قال القرطبي: قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عَقْدَ الإصرار ويثبت معناه في الجنان، لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه: أستغفر الله، وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر. وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى استغفار[2].

وبالجملة فإن ما سبق من نصوص القرآن والحديث دليل على عظيم فائدة الاستغفار وأنه إضافة إلى مغفرة الله التي ينالها المستغفر على استغفاره فإن لزوم الاستغفار وتكراره عشرات المرات إن لم يكن مئات المرات كل يوم سبب في مجيء الرزق وكسب المال. وقد علّمنا رسول الله ﷺ سيد الاستغفار فقال ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي، اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ص: ١٣٥/٤.

قال: «**ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**»[1].

٥ - الدعاء[2]:

عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً**»[3]، كذلك كان ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقِلة والذِّلة**»[4]؛ فقد كان رسول الله ﷺ نفسه يدعو الله تعالى بأن يرزقه الرزق الطيب، ويتعوذ بالله تعالى من الفقر؛ وعن علي رضي الله عنه، أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ؟ لو كان عليك مثل جبل صِير دينًا أداه الله عنك، قال: قل: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك**»[5]؛ الكتابة هي تعليق عتق العبد على إعطاء سيده كذا من المال؛ وهذا المكاتب قد عجز عن أداء المال الذي كاتبه به سيده وبلغ وقت الأداء وليس له

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: أفضل الاستغفار.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ص: ٢/٢٠٨-٢٠٩، وتحفة الأحوذي للمباركفوري، ص: ١٠/٤٩.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٧٥٣.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٢٨٧.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٢٢.

مال فطلب من علي ﷺ أن يعينه بالمال أو بالدعاء بسعة المال فعلمه أن يدعو بهذا الدعاء، وأن يستعين بالله لأدائها ولا يتكل على الغير.

فالدعاء أحد أسباب اكتساب الرزق لأنه توجه وسؤال الرزاق الرازق الذي بيده الرزق، ويرزق من يشاء بغير حساب، وقد جعل الله تعالى الدعاء عبادة، قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة، قال ربكم:** ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1]»[2]، أي؛ هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عمن سواه بحيث إذا أراد الرزق فلا يطلب ولا يسأل إلا الله عزَّوجلَّ.

لقد أمر الله تعالى عباده بأن يدعوه وحضهم على الدعاء وسماه عبادة، ووعدهم بأن يستجيب لهم، وأخبرهم بأنه قريب يجيب دعوة من دعاه؛ ويستحيي أن يرد يدي عبده خاليتين؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[3]. وقال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا**»[4].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣١٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٢٠.

بل إن الله ـــ جلَّ ثناؤه وتقدست أسماؤه ـــ يغضب على من لا يدعوه ويسأله، قال رسول الله ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»[1] ؛ ذلك لأنه «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**»[2] ، لأن الدعاء فيه إظهار الفقر والعجز والتذلل والاعتراف بقوة الله وقدرته، وما شُرعت العبادة إلا للخضوع للبارئ وإظهار الافتقار إليه، أما ترك الدعاء والسؤال فإنه تكبر واستغناء عن عطائه ورحمته وهذا لا يجوز للعبد، ونِعم ما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وترى ابن آدم حين يُسأل يغضب

وذلك لأن الله يحب أن يُسأل من فضله، ووعد بأن يعطي من يسأله؛ قال النبي ﷺ: «**ينـــزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[3] .

فمن هنا كان الدعاء سببًا لكسب الرزق والمال؛ لأن الله تعالى يجيب دعوة من دعاه ويستحيي أن يرد يدي من يدعوه صفرًا؛ وإذا وجد الإنسان أنه يدعو ولا يُستجاب له فقد يكون لذلك سببًا من نفس هذا الإنسان أو وقوع خلل في شرط من شروط الدعاء؛ فالعبد إذا دعا ربه و لم يكن في دعائه واحد من موانع الإجابة الثلاثة فالاستجابة مؤكدة بواحد من ثلاثة أشياء؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما**

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٦.
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٤.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل.

من رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يُعجَّل له في الدنيا، وإما أن يدَّخر له في الآخرة، وإما أن يكفِّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل» قالوا: يا رسول الله، وكيف يستعجل؟ قال: «**يقول: دعوت ربي فما استجاب لي**»[1].

فقول: «دعوت ربي فما استجاب لي» هو إما استبطاء أو إظهار يأس وكلاهما مذموم، أما الأول فلأن الإجابة لها وقت معين كما ورد أن بين دعاء موسى وهارون على فرعون وبين الإجابة أربعين سنة، وأما القنوط فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، مع أن الإجابة على أنواع؛ منها تحصيل عين المطلوب في الوقت المطلوب، ومنها وجوده في وقت آخر لحكمة اقتضت تأخيره، ومنها دفع شر بدله، أو عطاء خيرٍ آخرَ خيرٌ من مطلوبه، ومنها إدخاره ليوم يكون أحوج إلى ثوابه، ومنها تكفير الذنوب بقدر ما دعا.

والمطلوب من الداعي أن لا يمل من الدعاء، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، وأن يكون موقنًا بالإجابة؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**»[2]، وأن يجتنب موانع إجابة الدعاء كالأشياء الثلاثة الآنفة الذكر وهي الدعاء بإثم أو قطيعة رحم أو الاستعجال؛ ويدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم، ويمنع من إجابة الدعاء أيضًا أكل

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٥٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٦٦.

الحرام وما كان في معناه؛ قال ﷺ: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك**»[1]، أي؛ من أين يُستجاب لمن هذه صفته وكيف يُستجاب له. وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نِعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

كذلك لا يعتدي في دعائه بذكر ألفاظ غير جائزة، مثل: اللهم إن شئت. قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولنَّ اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مُسْتَكْرِهَ لهُ**»[2]. وفي الحديث أيضًا أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من رحمة الله فإنه يدعو كريمًا. وقد قال ابن عيينة: لا يمنعن أحدًا الدعاء ما يعلم في نفسه —يعني من التقصير— فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: رب أنظرني إلى يوم يُبعثون. قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: ليعزم المسألة، فإنه لا مُكرِه له.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥.

وعليه أن يعلم أن للدعاء أوقاتاً فاضلة وأحوالاً يكون الغالب فيها الإجابة، وذلك كثلث الليل الآخر، وما بين الأذان والإقامة، وفي السجود، ويوم الجمعة، وأوقات الاضطرار، وحالة السفر والمرض، وغير ذلك من أوقات الإجابة. وأن يلح في الدعاء كما كان يفعل رسول الله ﷺ حيث كان يستحب أن يكرر الدعاء ثلاث مرات، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: وكان يستحب ثلاثًا يقول: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش،** ثلاثًا»[1]. وأخيرًا لا ينسى الداعي أن أقل ما في الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الأمر بالدعاء الذي هو العبادة.

ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه تعالى يجيب دعوة المضطر كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[2]، أي؛ مَن هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف السوء وضر المضرورين سواه؟ إنه الله تبارك وتعالى، فهو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، الذي يجيب دعوة المضطر سواء كان مؤمنًا أو كافرًا، وقد روى دايل كارنيجي في كتابه (دع القلق وابدأ الحياة) قصة شاب يائس مسكين يعمل محاميًا يدعى (جون أنطوني)، كان يعمل ببيع الكتب لحساب إحدى الشركات، وبالرغم من أنه كان خبيرًا في وظيفته إلا أنه لم يكن يفلح في مهمته إلا نادرًا، وانتابه اليأس، وضاعف جهده ضعفين، و لم يعد مدخوله يكفيه لتغطية نفقاته، وانتابه خوف داخلي من مقابلة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٢.

العملاء، فإذا صادف وذهب إلى مكتب أحد العملاء استبد به الخوف وتمنى أن لا يكون العميل موجودًا ليعود أدراجه إلى مكتبه.. وبعثت له الشركة تهديدًا تنذره فيه بعدم إرسالها الكتب إذا لم يضاعف مبيعاته، وفي الوقت نفسه بعثت له زوجته رسالة تطلب فيها مدها بالمال لتسديد الديون التي عليها للبقال، ولتسد رمقها ورمق أبنائهما الثلاثة، فساوره القلق، وازداد يأسه يومًا بعد يوم، ولم يدر ماذا يفعل، وكان في الوقت نفسه قد أغلق مكتبه للمحاماة في بلدته، ورأى حقًا أنه فشل في عمله الجديد، ولم يعد يرى من دولار في يده ليسدد دينه للفندق الذي ينـــزل فيه، ولم يعد يجد في يده قدرًا من الدراهم ليعود إلى بلدته والحال هذا، كيف يقابل أهله وعائلته...

يقول: «وفي يوم من أيامي السوداء، اتجهت نحو الفندق لأطعم نفسي بعض الذي نسيته من كسرات خبز، ولم أجد ضالتي فشربت كأسًا من البن الساخن، وعرفت في تلك اللحظة لماذا ينتحر الناس.. لا يوجد أحد في غرفتي.. فلماذا لا ألقي نفسي من هذه النافذة؟ وبالفعل كنت سأقدم على هذا لو لم أتجه إلى الله تعالى وأبعث إليه بشكواي من أعمق أعماقي، فذهبت توي لأصلي ولأتضرع إلى ربي سبحانه لينير بصيرتي، ويفتح الطريق أمامي وينير الظلام الممقوت، وليوفقني في عملي لأجد بعض المال فأسد به رمقي ورمق أولادي وزوجتي..

وما أن انتهيت من دعائي هذا، وفرغت من صلاتي حتى حدثت مفاجأة أذهلتني: فقد زال التوتر والقلق، وتلاشت مخاوفي، واستشعرت شجاعة وإيمانًا وأملاً بالحياة. وعلى الرغم من أنه لم يكن لدي من المال ما يكفي لإطعامي، فقد

ذهبت لفراشي لأنام، وبالفعل استشعرت سعادة ما عشت فيها منذ أعوام عديدة. وفي صبيحة اليوم التالي نهضت من فراشي والأمل يرتسم على وجهي، فتوجهت من توي إلى مكتب أحد العملاء فطرقت بابه بشجاعة كاملة وبيد لا ترتجف كما عهدتها من قبل، وإذ دخلت غرفة مكتبه بادرته بقولي: (صباح الخير يا مستر سميث.. أنا جون أنطوني مندوب المؤسسة الأمريكية للكتب القانونية. فأجابني العميل مرحبًا بقدومي بقوله: نعم. نعم أنا مسرور برؤياك تفضل بالجلوس. وعقدت في ذلك اليوم صفقات لم أحلم بها من قبل، فعدت أدراجي إلى الفندق في أمسية ذلك اليوم وأنا فخور كالبطل المنتصر، لقد شعرت كأنني جئت إلى الحياة من جديد، فاتخذت اتجاهًا فكريًا جديدًا.. ومنذ ذلك الحين اتجهت صفقاتي إلى طريقها نحو الذروة.. لقد خُلقت فعلاً في تلك الليلة المعتمة خلقًا من جديد.. لأنني عرفت الرباط المقدس الذي يربط المرء المؤمن بالله سبحانه. فما أسهل أن يتحطم الرجل الذي يعاند الحياة وحده! أما الرجل الذي يستند إلى ربه في نضاله بالحياة فهو الذي سيربح ولن يتحطم أبدًا»).

نعم.. فالله جلَّ جلاله يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ورجاه مخلصًا من أعمق أعماق قلبه، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إلام تدعو؟ قال ﷺ: «**أدعو إلى الله وحده، الذي إن مسَّك ضر، فدعوته، كشف عنك. والذي إن ضللت بأرض قفر، دعوته، رد عليك. والذي إن أصابتك سَنَة، فدعوته، أنبت عليك**»[1].

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٠٥١٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

أسباب حفظ المال وزيادته

أسباب حفظ المال وزيادته

لقد خلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان وبيَّن له طريق الخير وطريق الشر، ووضح له سبيل الشكر وسبيل الكفر كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1]؛ وجعل الله تعالى للإنسان حرية الاختيار بين هذا الطريق أو ذاك؛ وجعل تعالى لكل اختيار نتائجه المترتبة عليه فإن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر، إن كان شكرًا فزيادة، وإن كان كفرًا فعذاب شديد؛ كما أخبر الله عزَّ وجلَّ بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2]، أي؛ لقد أعلمكم الله بوعده لكم أنكم إذا شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها، ولئن كفرتم النعمة وجحدتموها فإن عذابي شديد بسلب هذه النعمة عنكم وعقابي إياكم.

فقد جعل الله جلَّ جلاله لحفظ المال وزيادته أسباباً إذا عمل الإنسان بأحدها نتج عنها حفظ ماله أو زيادته بحسب نوع العمل ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾[3]، لأنه أطاع الله ورسوله فاستحق أن يجازيه الله من جنس عمله.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٣) سورة النبأ، الآية: ٣٦.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من خارج يخرج - يعني من بيته - إلا بيده رايتان: راية بيد ملَك، وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله عزَّ وجلَّ اتبعه الملَك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يُسخط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته**»[(١)]؛ فبيد كل إنسان أن يختار الراية التي يكون تحتها، وبيده أيضًا أن يقلل من ذلك أو يكثر فكل شيء بحسابه.

وأسباب حفظ المال أو زيادته أو الأجر والثواب على إنفاقه كثيرة جدًا، وفيما يلي بعض منها:

١ - ذكر الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[(٢)]، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا رأى أحدكم من أخيه، أو من نفسه، أو من ماله، ما يعجبه فليُبَرِّكه، فإن العين حق**»[(٣)]؛ وقوله: فليبركه، أي؛ يقول: اللهم بارك فيه، ووردت أحاديث أخرى يجمعها قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

فقد سن الإسلام لمن رأى من ماله ما يعجبه سواء من ناحية الكثرة أو الجودة أو الجمال ونحو ذلك أن يدعو الله عزَّ وجلَّ أن يبارك له فيه، وأن يذكر

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٨٢٦٩، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٩.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٥٦٤٠، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

الله تعالى بقول: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله»؛ وذلك من أجل أن لا يصاب بالعين لأن العين حق، ولا شبهة في تأثيرها في الأجسام البشرية فضلاً عن الأموال، وهي تنشأ عن حالة نفسية معجبة جدًا بشيء ما فتنهكه بتقدير الله تعالى وابتلاء منه للعباد ليتميز المحق من غيره. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى من أجل أن يحفظ الله جلَّ جلاله هذا المال وأن يبارك فيه بأنواع البركة التي يستحقها صاحب المال.

فقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ استسلام وتفويض، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما اجتمع عنده من المال فهو بقدرة الله جلَّ جلاله وقوته لا بقدرة العبد وقوته، ولو شاء الله لنـــزع البركة منه فلم يجتمع، فالعبد لا يملك من أمره شيئًا وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى. وقد قال النبي ﷺ: «**ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[1]. وقد كان النبي ﷺ نفسه يذكر الله، ويتعوذ به من سوء المنقلب في المال وذلك كلما خرج في سفر وكلما عاد من السفر، قال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب: لا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب: استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجهًا لسفر.

٢ - الإنفاق في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

يضرب الله جلَّ جلاله مثل الذي ينفق نفقة في سبيل الله كمثل الزارع الذي يزرع في الأرض حبة فتنبت الحبة سبع سنابل في كل واحدة منها مئة حبة؛ فيكون نتاج الحبة الواحدة سبعمئة حبة، والله يضاعف لمن يشاء؛ فكذلك الدرهم في سبيل الله يصبح سبعمئة درهم، فالمنفق في سبيل الله إذا كان صالحًا والمال طيبًا ويضعه موضعه يُنمِّيه الله عزَّ وجلَّ حتى يصير ثوابه إلى سبعمئة ضعف أو أكثر.

وقال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٢]؛ وفي هذه الآية يحث الله عزَّ وجلَّ على الإنفاق في سبيل الله وسماه قرضًا تأكيدًا على الرد، وإنه تعالى يرد القرض لصاحبه أضعافًا كثيرة، والكثير من الله لا يحصى، وإن الله يقبض ويبسط فأنفقوا ولا تبالوا لأن الله هو الرزاق، يضيِّق على من يشاء من عباده في الرزق، ويوسعه على آخرين له الحكمة البالغة في ذلك، وإليه ترجعون يوم القيامة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

وسبل الله التي يمكن للمؤمن أن ينفق ماله فيها كثيرة وأعظمها الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام، وعن ابن عباس: الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمئة ضعف.

٣ - الزكاة والصدقة:

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[١]، وأتى رجل من بني تميم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تُخرج الزكاة من مالك فإنها طُهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق السائل والجار والمسكين**»[٢].

لقد فرض الله تعالى على الأموال صدقة معينة هي الزكاة المفروضة، أو غير معينة وهي صدقة التطوع؛ وذلك لتطهير أصحابها من دنس البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء والبائسين، وما يتصل بذلك من الرذائل، وتزكية أنفسهم بها ورفعها بالخيرات والبركات حتى ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة. فمن أوصاف المتقين الذين هم في الآخرة في جنات وعيون أنهم كانوا قبل ذلك محسنين، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٢٣٣٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

فالزكاة اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء. وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة، وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات، فإنها مأخوذة من الزكاة، وهو النماء والطهارة والبركة، والزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة.

قال رسول الله ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فَلُوَّه أو فَصيله**»[1]؛ فالله تبارك وتعالى ينمي الصدقة ويربيها لصاحبها حتى إن التمرة تصبح أكبر من الجبل مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[2].

بل لقد أقسم النبي ﷺ على أن مال العبد لا ينقص من صدقة تصدق بها منه، بل يبارك له فيه بما يجبر نقصه الحسي؛ فقال ﷺ: «**ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه... ما نقص مال عبد من صدقة**»[3]، بل الصدقة تزيد المال وذلك بالبركة فيه، ودفع المفسدات عنه، والإخلاف عليه بما هو أكثر وأطيب وأنفع؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[4]، أي؛ مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم الله به وأباحه لكم

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٤.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالثواب فهو خير الرازقين كما أخبر النبي ﷺ عن ربه: «**يا ابن آدم أَنفِق أُنفق عليك**»[1]، وكما في دعاء الملَكَين، قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينـــزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[2]؛ وهذا يحتمل أن يكون الخلف في المال نفسه بتيسير أسباب زيادته عن طريق التوفيق في العمل والتجارة ونحو ذلك، والإخلاف في الآخرة بإجزال الأجر وتضعيف الثواب. وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[3]، أي؛ إن من يزكي ويتصدق يريد بذلك مرضات الله يضاعف الله له الخير والنعيم، والثواب والجزاء. قال البيهقي رحمه الله: استنـــزلوا الرزق بالصدقة.

وإضافة إلى هذه الفائدة المادية للصدقة فإن لها فائدة أخرى أعظم من المال وهي إطفاء الخطيئة التي لا يكاد يسلم منها إنسان، فإذا كانت الخطيئة متعلقة بحق الله تعالى فإن الصدقة تذهبها وتمحو أثرها، وإذا كانت من حقوق العباد فتدفع تلك الحسنة إلى خصمه عوضًا عن مظلمته؛ قال النبي ﷺ: «**والصدقة تطفئ**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى﴾.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٩.

الخطيئة، كما يطفئ الماء النار»[1]. وعندما يأتي الموت إلى إنسان ما فإنه يطلب تأخير موته وذلك لأجل أن يفعل شيئًا واحدًا هو التصدق، مع أن الفرصة كانت متاحة أمامه طوال حياته وعمره لكي يتصدق ولكنه لم يفعل؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[2]، قال النبي ﷺ: «**يقول ابن آدم: مالي مالي؛ وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**»[3]، أي؛ هل يحصل لك من المال وينفعك في المال إلا ما تصدقت فأمضيته وأبقيته لنفسك يوم الجزاء.

وقد أخبر النبي ﷺ أن أفضل المنازل عند الله تعالى: صاحب العلم والمال الحلال الذي يعلم أن لله حقًا في علمه وماله كالزكاة والصدقة ونحو ذلك من الحقوق المتعلقة بالله وبعباده فيتقي ربه فيه بالإنفاق منه، ويصل به رحمه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي ربه فيه ويصل به رحمه، ويعلم لله فيه حقًا فهذا أفضل المنازل**»[4].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢١١٠.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١٠-١١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٤.

٤ - فعل الحسنات:

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة**»[(١)]، وفي رواية أخرى: «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعَم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها**»[(٢)].

ما من حسنة يفعلها المؤمن إلا ويعطيه الله عزَّ وجلَّ عليها في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا: بتوسعة رزقه أو سوق رزق جديد إليه، وفي الآخرة: برفع درجاته في الجنة. قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[(٣)]، وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عزَّ وجلَّ، قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة**»[(٤)].

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٢٢٠٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب: جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو سيئة.

ذلك لأن نفع الحسنة إنما يعود على من يعملها، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾[2]؛ ولا يترك الله جلّ جلاله مجازاة المؤمن بشيء من حسناته، بل ربما يجازيه أيضًا في الدنيا بدفع بلاء أو نصر على عدو أو غير ذلك إضافة إلى الرزق. على عكس الكافر الذي إذا عمل حسنة كأن أنقذ أحدًا من الموت أو فك أسيرًا أو وصل رحمًا أو تصدق أو غير ذلك من أعمال الخير، فإن الله البَرُّ الكريم يجازيه فيُطعَم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا فقط، بنحو توسعة لرزقه أو دفع مصيبة أو نصر على عدو أو غير ذلك؛ ويستوفى أجر حسناته بكمالها في الدنيا حتى لا يكون له نصيب في الآخرة، فإذا صار إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرًا.

وقال النبي ﷺ: «**إن الكافر إذا عمل حسنة أُطعِمَ بها طُعمَةً من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يَدَّخِرُ له حسناته في الآخرة، ويُعقِبُهُ رزقًا في الدنيا**»[3]. قال النووي: أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربًا إلى الله تعالى، وصرح في هذا الحديث بأن يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي؛ بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب: جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.

وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ويجزى بها مع ذلك أيضًا في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده... وأما إذا فعل الكافر مثل هذه الحسنات ثم أسلم فإنه يثاب عليها في الآخرة على المذهب الصحيح[1]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق.

والحسنة بصفة عامة: كتلاوة القرآن الكريم بتدبر، والذكر الذي يتواطأ فيه القلب مع اللسان والدعاء، ومذاكرة العلم النافع، وقيام الليل وهو وإن كان يندرج تحت الصلاة إلا أنه يجب التنبيه عليه لأهميته، وقس على ذلك باقي أعمال البر وفعل الحسنات التي تشرح الصدر.

٥ - صلة الرحم:

قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليَصل رحمه**»[2].

لقد أمر الإسلام بصلة الرحم، ومما رتب على وصلها البسط في الرزق، فمن أحب أن يُبسط له في رزقه فليصل رحمه، ومعنى البسط في الرزق البركة فيه؛ فصلة الأقارب صدقة والصدقة تربي المال وتزيد فيه فينمو بها ويزكو.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، ص: ١٥٠/١٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

وقال النبي ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**»[1]، ومعنى قوله: «**منسأة في الأثر**» يعني به: الزيادة في العمر. فالنبي ﷺ يدعو إلى معرفة الأقارب من ذوي الأرحام حتى يمكن وصل رحمهم بالتقرب إليهم والشفقة عليهم والإحسان إليهم؛ ومن المنافع التي جعلها الله تعود على واصل الرحم الثراء في المال، فكما جعل الله عزَّ وجلَّ صلة الرحم سبباً لزيادة العمر فإنه جلَّ جلاله جعلها أيضًا سبباً لزيادة المال وكثرته.

وقد تقدم حديث النبي ﷺ أن أفضل المنازل عند الله تعالى: صاحب المال الحلال الذي يعلم أن لله حقًا في ماله فيصل به رحمه؛ قال ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي ربه فيه ويصل به رحمه، ويعلم لله فيه حقًا فهذا أفضل المنازل**»[2].

٦ - المجاهدة بالمال والنفس:

لقد خلق الله جلَّ جلاله الإنسان ويعلم أن المال شيء عزيز على قلب هذا المخلوق الذي هو على استعداد دائم طوال عمره لممارسة أي عمل يجلب له المال، ومن ذلك التجارة؛ فدل الله المؤمنين على تجارة مضمونة الربح في الدنيا والآخرة، وهي خير التجارة؛ فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦١٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٤.

مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

فالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس هي التجارة المضمونة الربح، وإذا أخبرنا خالقنا تبارك وتعالى أن الجهاد خير لنا فيجب علينا أن نؤمن بذلك أشد الإيمان، فالجهاد سبب للفوز بأشياء عظيمة في الدنيا والآخرة، وقد أخبرنا الله جلَّ جلاله بأنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وبشَّرنا بهذا البيع الذي هو خير البيع والتجارة الرابحة مع الله فقال جلَّ شأنه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[3]، أي؛ إذا

(١) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤١.

جاهدتم بأموالكم فأنفقتم بعض المال على الجهاد فذلك خير لكم في الدنيا والآخرة؛ لأن الله تعالى يغنمكم أموال عدوكم فيعوضكم أضعاف ما أنفقتم وبذلك تكسبون من المال في الدنيا أكثر مما تنفقون، فضلاً عما تنالونه من أجر جزيل؛ وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «**تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة**»[1].

فقد تكفل الله للمجاهد الحق بربح مضمون في جميع الحالات، وإذا تكفل الله بشيء فهو حاصل لا محالة؛ ففي حال استشهاد المجاهد فالله عزَّ وجلَّ تكفل له بالجنة، وفي حال بقاء المجاهد على قيد الحياة تكفل الله تعالى له بإرجاعه إلى بيته مع أجر لا يعلم مقداره إلا الله تعالى إذا لم يغنم، أو مع أجر وغنيمة إذا غنم؛ وقد تكون غنيمته أضعاف ما أنفقه في سبيل الله تعالى.

لقد قرن الله عزَّ وجلَّ بين الأموال والأنفس في كثير من الآيات التي تدعو إلى الجهاد؛ وقد فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين، فقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى.

﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾[1]؛ فأخبر عزَّ وجلَّ بما فضَّل المجاهدين من الدرجات العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات، والرحمة والبركات؛ كما أخبر النبي ﷺ: «**إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»[2].

وسبب تفضيل المجاهدين على القاعدين يعود إلى فضل الجهاد في سبيل الله؛ فالجهاد لا يعدله شيء من الطاعات، وقد «قيل للنبي ﷺ ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: «**لا تستطيعونه**»، قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**»، وقال في الثالثة: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى**»[3]. وفي هذا الحديث عظيم فضل الجهاد، لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، وقد جعل المجاهد مثل من لا يفتر عن ذلك في لحظة من اللحظات، ومعلوم أن هذا لا يقدر عليه أحد ولهذا قال ﷺ: «**لا تستطيعونه**». فالجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٩٥-٩٦.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: الشهادة في سبيل الله تعالى.

كما أن الذي يخرج للجهاد في سبيل الله لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى فهذا من أفضل الناس، فقد «قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله**»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما اغبرَّتا قدما عبد في سبيل الله فتمسَّه النار**»[2]، وقال ﷺ: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والرَّوحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغَدْوة خير من الدنيا وما عليها**»[3].

فمن أجل ذلك فضَّل الله المجاهدين على القاعدين؛ ومع ذلك فقد منَّ الله على المؤمن بأن ترك له حرية الاختيار في الجهاد في سبيل الله في غير الحالات التي يتعين فيها الجهاد بالنفس على الشخص نفسه؛ فإما أن يجاهد بماله ونفسه، وإما أن يجاهد بإحداهما: المال أو النفس. ومن رحمة الله وفضله وكرمه أنه سبحانه وتعالى جعل لمن اختار الجهاد بالمال فقط أجرًا كالمجاهد بنفسه؛ لأن فضل الجهاد في سبيل الله لا يقتصر على من يخرج بنفسه مجاهدًا وغازيًا، بل إن من جهز غازيًا وهيأ له أسباب سفره فقد غزا، ومن خلف الغازي في أهله بخير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو مساعدتهم في أمرهم فقد غزا؛ قال رسول الله ﷺ: «**من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد**

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: من اغبرت قدماه في سبيل الله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله.

غزا»[1]، فمن فعل ذلك فهو مثل الغازي في الأجر وإن لم يغز حقيقة، قال ﷺ: «**من جهز غازيًا في سبيل الله، كان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الغازي شيئًا**»[2].

٧ - المتابعة بين الحج والعمرة:

قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»[3]، وفي رواية أخرى: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة بينهما تزيد في العمر والرزق وتنفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد**»[4].

حث النبي ﷺ المؤمنين بأن يتابعوا بين الحج والعمرة، ففضلاً عما فيهما من الأجر العظيم والثواب الجزيل فإنهما يزيلان الفقر ويزيدان في الرزق كما تزيد الصدقة المال، ويزيلان الذنوب كما تزيل النار خبث الحديد، وفوق كل هذا فإن الحجة المقبولة ليس لها جزاء إلا الجنة. وقد أمر الله تعالى بالحج والعمرة فقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٢٢٩.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٦٥٠.

(٤) مسند أحمد، رقم: ١٥٦٣٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[1]؛ وأكد النبي ﷺ على أن الحج إذا خلا من الرفث والفسق فإنه يزيل الذنوب كلها ويصير العبد كما يكون الطفل حين يولد، فقال ﷺ: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[2]؛ وكذلك أكد النبي ﷺ على أن العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[3].

إن النبي ﷺ حين يؤكد على أن الحج والعمرة يزيلان الذنوب والفقر، ويزيدان في الرزق فإنه لا ينطق عن الهوى أو من عند نفسه، وإنما يقول ما أمره به رب العالمين جلَّ جلاله، الذي أرسله رحمة للعالمين ورسولاً إلى الناس أجمعين ليبلغهم رسالة الله تبارك وتعالى، وليدلهم على كل ما فيه خير لهم في دنياهم وآخرتهم، وليحذرهم من كل ما فيه شر لهم في دنياهم وآخرتهم؛ وقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[4].

وعن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر، يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتاب،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: فضل الحج المبرور.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب: العمرة. وجوب العمرة وفضلها.

(٤) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق**»[1]؛ فما يخبرنا به رسول الله ﷺ فهو وحي من الله تعالى الذي بيده الرزق، وهو الذي جعل الحج والعمرة يزيلان الفقر ويزيدان الرزق؛ فبيده الأمر كله تبارك الله رب العالمين.

٨ - العمل بالحلال:

لقد حث الإسلام على العمل وأمر أن يكون العمل في شيء حلال طيب مقبول لأجل تحصيل منافعه التي جعلها الله ثمار الحلال، ومنها حفظ المال والبركة فيه وزيادته، ونهى عن كل عمل حرام أو فيه شيء من الإثم لأجل اجتناب النتائج السيئة التي رتبها الله على الحرام ومنها خسارة المال بعضه أو جميعه، وهذا في الدنيا فقط، أما في الآخرة فالعقاب أعظم من ذلك وأشد وهو عذاب النار وبئس المصير. ولأجل ذلك أمر رسول الله ﷺ الناس بأن يحرصوا على أخذ الحلال وترك الحرام فقال ﷺ: «**أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُمَ**»[2]. وقد قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: «**عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور**»[3]، أي؛ كل بيع مقبول حلال لا يخالطه شيء من الإثم.

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٦٥١٠، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤٣.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٧١٩٨، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

فإذا اشتغل الإنسان في عمل حلال سواء كان وظيفة أو تجارة أو بيعًا فعليه أن يلتزم بعدة شروط كفيلة بحفظ ماله بل وزيادته؛ ومن هذه الشروط:

- إخلاص النية لله في العمل: إن أول شرط مهم لينفع الإنسان نفسه في الدنيا والآخرة، ولكي ينجح ويوفق في عمله أن يخلص فيه النية لله تعالى؛ وكل عمل يخلص فيه الإنسان نيته لله تعالى يكون له فيه أجر، حتى في عضو الرجل، فقد قال رسول الله ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[1]، وكذلك كل عمل حلال إذا نوى الرجل أنه يعمله لأجل أن يجني منه مالاً يصرفه على نفسه وعلى من يعول حتى لا يضطر إلى سؤال الناس، وحتى يتقوى به على طاعة الله ويحقق به أغراضًا شرعية يحبها الله ويرضاها فإن له فيه أجر؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك؛ أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**»[2]، ومن شرط العمل الحلال أن لا يعتقد أن الرزق من الكسب بل من الله تعالى بهذه الواسطة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: كل نوع من المعروف صدقة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: الابتداء في النفقة بالنفس ثم الأهل ثم الأقارب.

- الأمانة في العمل: إن من أهم شروط الاستمرار في العمل، وبالتالي استمرار الرزق الذي يأتي منه: الأمانة في العمل؛ فدون الأمانة لا يمكن للإنسان أن يستمر في عمله وينجح فيه؛ فكل عامل يجب أن يكون أمينًا على مصالح ومال من يستخدمه؛ قال رسول الله ﷺ: «**والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته**»[1]؛ فالراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه، فمن الأمانة أن لا يستخدم ما تحت يده من أشياء تخص العمل في أغراضه الشخصية إلا بعد استئذان صاحب العمل، ويكون الأمر أشد فيما لو كان العامل موظفًا لدى الدولة؛ لأن ما تحت يده من أشياء هي أموال عامة تخص بيت مال المسلمين ولا يجوز التصرف فيها.

ولا يخفى ما في الأمانة من فوائد للشخص نفسه؛ فعدا استمراره في العمل فإن أمانته مدعاة لزيادة أجره، ورفع مرتبته، وزيادة الثقة فيه، لأن الجزاء من جنس العمل، ولا يكون جزاء الأمانة إلا طيبًا.

- إتقان العمل: ومن الأشياء المهمة التي حض عليها الإسلام في العمل لكي يُكتب له النجاح: الإتقان؛ وهو أمر ضروري لنجاح أي عمل بعد إخلاص النية لله تعالى، وقد بيَّن الإسلام أن الإتقان في العمل هو مما يحبه الله تعالى إذ قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب: العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٠.

وإتقان العمل هو إحكام العمل وإجادته على الوجه الأفضل، وهو مطلوب في كل عمل يقوم به الإنسان سواء كان دينيًا أو دنيويًا؛ فإذا كان يعمل -مثلاً- في مهنة فعليه أن يتقنها، وأن يحسن استخدام ما يلزمه في عمله من آلات ومعدات وسيارات وغيرها، وأن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان بقصد نفع خلق الله الذي استعمله في ذلك، ولا يعمل بنية أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على مقدار الأجرة، بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة.

- حقوق على صاحب العمل: إذا كان الإنسان صاحب عمل كأن يملك مؤسسة أو مصنعًا أو محلاً تجاريًا وغير ذلك، فإن عليه حقوقًا وواجبات أخرى تجاه من يعمل لديه من العاملين، ولا شك أنه إذا أدَّى ما عليه من الحقوق والواجبات فإن مردود ذلك سيكون عليه من زيادة في الرزق والبركة فيه وسيكون التوفيق والنجاح حليفه، ومن هذه الحقوق:

أ- *إعانة العمال على العبادة*: فمن الواجب على صاحب العمل أن يعين عماله على طاعة الله بأداء الصلاة في أوقاتها، بل من الواجب عليه أن يدعو إلى الصلاة من لا يصلي من عماله وبذلك يكون مأجورًا عند الله تعالى وجامعًا بين عمل الدنيا وعمل الآخرة فيكون فعله سببًا في زيادة رزقه وبعده عن الخسارة.

وأعرف صاحب مؤسسة كانت عادته كلما سمع الأذان أنه يخرج للصلاة وينادي موظفيه لكي يلحقوا به إلى المسجد، فكان هؤلاء الموظفين يحبون صاحب المؤسسة ويعملون بها كما لو كانت مؤسستهم. فأثر الصلاة لا بد

أن يعود على المصلي وبالتالي يعود على المؤسسة أو المصنع أو المحل... من ناحية الإخلاص، والصدق في العمل، وتحمل المسؤولية، والأمانة، وزيادة الإنتاج وبالتالي زيادة الربح والمال.

ب- *دفع الحقوق*: فالإسلام قد حض على دفع أجور العمال أو الموظفين بمجرد استحقاقها وعدم المماطلة والتسويف في ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**»[1]. فإذا دفع صاحب العمل أجور عماله في مواعيدها المحددة فمما لا شك فيه أن العمال سيحبون صاحب العمل والعمل الذي يقومون به عنده، وبالتالي يزيد إنتاجهم الذي يعني زيادة في أرباح صاحب العمل، ولم يكن ذلك إلا بسبب التزام صاحب العمل بهذا الحق الذي عليه تجاه من يعمل لديه. وليحذر صاحب العمل أن يأكل حقوق أحد من عماله أو موظفيه، وإلا سيكون الله خصمه يوم القيامة كما أخبر النبي ﷺ: «**قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة:... ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره**»[2].

- الصدق في البيع: إن الصدق عامل مهم لنجاح أي عمل ومن ذلك: البيع؛ فالصدق في البيع لا يأتي إلا بالخير للبائع من زيادة زبائنه وبالتالي زيادة ربحه وماله فضلاً عن البركة التي يجعلها الله في بيعه جزاء صدقه؛ وقد أخبر النبي ﷺ

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٩٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: إثم من باع حرًا.

بذلك فقال: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا؛ فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما**»[(١)].

- السماحة في التجارة والبيع: لقد حض الإسلام على السماحة في المعاملات التي بين الناس، وجعل الرجل السمح محبوبًا إلى الله تعالى، وهذا أعظم من مال الدنيا جميعًا. والسماحة هي السهولة والجودة، وهي من الإيمان؛ قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان: الصبر والسماحة**»[(٢)]. فإذا كان الإنسان صاحب تجارة وبيع وشراء فلا بد أن يكون سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا طالب بحقه وما له على الناس من حقوق مالية، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب سَمْحَ البيع، سَمْحَ الشراء، سَمْحَ القضاء**»[(٣)].

فسَمْحُ البيع والشراء هو الذي يكون سهلاً جوادًا إذا باع وإذا اشترى، ويتجاوز عن بعض حقه إذا باع، وسمْحُ القضاء هو الذي يطلب حقه بسهولة ورفق ولين جانب وعدم إلحاح أو إضرار، وإذا طلب دينًا له على غريم يطلبه بالرفق واللطف لا بالخرق والعنف، أو يعطي الذي عليه بسهولة بغير مماطلة أو تسويف. وقد رتب المحبة عليه ليدل على أن السهولة والتسامح في التعامل سبب لاستحقاق المحبة ولكونه أهلاً للرحمة وزيادة الرزق والمال، وإنما يحب الله الرجل السمح لشرف نفسه وحسن خُلُقه بما ظهر من قطع علاقة قلبه بالمال،

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا».

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٧٩٥.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٠٦٤.

الذي هو معنى الدنيا، وإفضاله على عباد الله ونفعه لهم فلذلك استوجب محبة الله تعالى، ومن يستوجب محبة الله فإنه يكون أهلاً للتوفيق والنجاح في عمله وبالتالي حفظ ماله وزيادته والبركة فيه.

- الإكثار من الصدقة: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر التجار، إن البيع يحضره اللغو والحَلف فشوبوه بالصدقة**»[1]؛ فقد بيَّن النبي ﷺ أن البائع قد يتكلم في البيع كلامًا لا يعنيه، وكلامًا لا ينفعه في دينه ودنياه، وقد يحلف كذبًا أو يكثر من الحلف ولو كان صدقًا؛ فأمره النبي ﷺ بأن يخلط ذلك بالصدقة لأنها تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، فإذا أطاع أمر الرسول ﷺ وأكثر من التصدق فإن الله عزَّ وجلَّ يخلفه ويرزقه أضعاف ما تصدق به.

- تجنب الأمور المحرمة: لقد حرَّم الإسلام أمورًا وتعاملات معينة ونهى الناس عنها، فإذا تجنبها الإنسان فإنه بذلك يبعد عنه نتائجها السيئة، ويقرب منه النتائج الحسنة لتجنبها؛ فمن كان حريصًا على أن يبارك الله في رزقه وماله وأن يزيده من فضله فيجب عليه أن يتجنب هذه الأمور والمعاملات؛ ومنها: الربا، الرشوة، كثرة الحلف في البيع، التطفيف في الوزن، الغش والكذب في البيع.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٨٤٥.

٩ - التبكير في طلب الرزق:

عن صخر الغامدي، عن النبي ﷺ قال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم من أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجرًا، وكان يبعث تجارته من أول النهار ، فأثرى وكثر ماله[١].

إن النبي ﷺ قد دعا الله عزَّ وجلَّ بأن يبارك لأمته في بكورها، وهو الوقت الذي يكون في أول النهار بعد صلاة الفجر، ودعاء النبي ﷺ مستجاب، ومن تعود على بدء عمله ونشاطه في هذا الوقت المبكر في أول النهار يلمس بوضوح أن هذا الوقت لا يماثله أي وقت آخر في بقية النهار، وذلك في كل شيء حتى في صفاء الهواء.

وقد جعل الله تعالى لهذا الوقت المبكر بركة في الرزق حتى إن بعض السلف كان إذا رأى أحدًا من أولاده نائمًا في هذه الوقت نهره وقال له: أتنام في هذا الوقت الذي تُقسم فيه الأرزاق؟!.

١٠ - عدم التلهي بالمال والعمل عن العبادات:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]؛ يأمر الله جلَّ جلاله المؤمنين بالسعي إلى ذكر الله وترك البيع إذا نادى المؤذن لصلاة

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٢٧٠.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٩.

الجمعة، وأن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة إن كانوا يعلمون. فإن كان الخير في الآخرة هو الجنة، فالخير في الدنيا ليس إلا زيادة في الرزق والمال، والصحة والعافية.

وقد مدح الله عزَّ وجلَّ الذين لا تلهيهم تجارتهم وبيعهم عن عبادته فقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾[1]؛ وخص الله تعالى التجارة والبيع بالذكر؛ لأنها أعظم ما يشتغل بها الإنسان عن العبادات وأهمها الصلاة من أجل جني أكبر قدر من المال؛ ولهذا نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله والصلاة؛ وهددهم وتوعدهم بأن من تشغلهم أموالهم أو أولادهم عن ذكره تعالى فإنهم هم الخاسرون في الدنيا والآخرة. فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2]؛ ولهذا فإن أهل طاعة الله يتاجرون ويبايعون، ولكنهم إذا ناهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله فاستحقوا مدح الله لهم على ذلك.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٩.

قال رسول الله ﷺ: «**من جعل الهموم همًّا واحدًا، همَّ المعاد، كفاه الله هم دنياه**»[1]. لقد كان المسلمون الأوائل يتركون ما بأيديهم فور سماعهم الأذان ويتوجهون إلى المساجد للصلاة فكانوا مرتاحي البال، مطمئني القلوب؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2]، أحسنوا أعمالهم ووفقوا بينها وبين العبادات ومواقيت الصلاة فعاشوا حياة طيبة، ورزقهم الله رزقًا واسعًا، قال ﷺ: «**من كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[3]. وكان رسول الله ﷺ قدوتهم في ذلك حيث كان ﷺ يخدم أهله فإذا سمع الأذان ترك ما بيده وخرج إلى الصلاة. وقد سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ فقالت: «**كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج**»[4]. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**يقول الله سبحانه: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنىً، وأسُدَّ فقرك**»[5].

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب: خدمة الرجل في أهله.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٥.

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]، أي؛ إذا أقمت الصلاة وأمرت أهلك بإقامتها والمحافظة عليها أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، ولا نكلفك طلب الرزق فنحن نرزقك، وحسن العاقبة وهي الجنة لمن اتقى الله تعالى.

١١ - الشكر لله على النعمة:

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم، ومن رزقه الحلال الطيب، وأن يشكروه تعالى على ذلك فإنه المنعم المتفضل به ابتداء الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له. والرزق والمال نعمة كبيرة من الله تعالى على الإنسان ودونها لا يستطيع العيش، وما دام الإنسان يحب دوام هذه النعمة بل وزيادتها؛ فيجب عليه أن يشكر الله عليها، وقد وعد الله عزَّ وجلَّ من شكره أن يزيده من

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ١١٤.

فضله، فقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، أي؛ لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي.

فالآية نص في أن الشكر سبب للمزيد، وشكر الله على الشيء سبب للمزيد منه، ووعد الله حق ولن يخلف الله وعده، فالزيادة حاصلة لمن شكر الله حق شكره. والشكر في اللغة: الظهور. وهو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف. وفي عبارات العلماء معناه: الاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية. وقيل غير ذلك. ويروى عن جعفر بن محمد بن علي ابن حسين بن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «اشْكرِ المنعِمَ عليك، وأنعِمْ على الشاكر لك، فإنه لا نفاد للنِّعَم إذا شُكِرت، ولا بقاء لها إذا كُفِرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير».

ومن الشكر معرفة النعمة والتحدث بها، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]. ومن التحدث بالنعمة إظهارها للناس والله عزَّ وجلَّ يحب ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن يُرى أثر نعمته على عبده**»[3]، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً رث الثياب فقال له: «**هل لك من مال**»؟ فقال: من كل المال، قد أعطاني الله من الإبل والغنم، فقال ﷺ: «**فلْيُرَ عليك**»[4]، أي؛ فليُبْصَر

(١) سورة إبراهيم، الآية ٧.

(٢) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٦٠.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٢.

وليَظْهَر. وقال ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة، يحب أن يرى أثر النعمة عليه**»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: « **إذا آتاك الله مالاً فلْيُر عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس**»[2].

والله تبارك وتعالى يرضى الشكر ويحبه لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[3]، وقد أمر الله عزَّ وجلَّ لقمان أن يشكر الله تعالى على ما آتاه ووهبه من الحكمة، وهي نعمة عظيمة خصصه الله بها عن غيره من أبناء جنسه وأهل زمانه، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ﴾[4]، ومدح الله تعالى رسولَه إبراهيم عليه السلام بأنه شاكر لنعم الله عليه؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ﴾[5].

ومن الشكر الاعتراف بالنعمة لله، والثناء عليه بها والإحسان إلى خلقه منها، واستعمالها في طاعة الله، وعدم استعمالها في معاصيه. وهذا بلا شك يوجب

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧١١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٥٥.

(٣) سورة الزُمُر، الآية: ٧.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٥) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠-١٢١.

حفظها على الشاكر والمزيد منها. فمن استغل ماله واستخدمه في طاعة الله عزَّوجلَّ كان ذلك شكرًا على نعمة المال، فكان ذلك سببًا في أن يديم الله عليه الرزق ويزيده منه، فالشكر ليس أن يقول الإنسان بلسانه: الحمد لله، الشكر لله. بل إن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عزَّوجلَّ. وقد وعد الله تعالى من يطيعه ويؤمن بالله ويعمل الصالحات بأن لهم رزقاً كريماً واسعاً، فضلاً عما لهم من مغفرة الله تعالى على ذنوبهم، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[1].

وهذا رسول الله ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقوم في الصلاة حتى تتورم قدماه لأجل أن يشكر الله على نعمه عليه؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطَّر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[2]. فالحديث يبين أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[3]، أي؛ اعملوا عملاً هو الشكر على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا. وكأن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر إذ سدَّت مسدَّه، فظاهر القرآن

(١) سورة الحج، الآية: ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان.

إن الله جلَّ جلاله أمر بأن يطلب الإنسان الرزق من الله ويعبده ويشكره، فقال تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾[1]؛ وعندما يأمر الله عزَّ وجلَّ عباده المؤمنين بالشكر له فذلك ليس لأجله تعالى، فهو جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه غني عن العالمين، وغني عن شكر الناس أجمعين، وليس بحاجة إلى أحد من خلقه، بل كل مخلوق بحاجة إليه، فالشكر إنما هو لمصلحة العبد؛ لأن نفع الشكر وثوابه يعود على الشاكر نفسه في الدنيا والآخرة، ولهذا يرضى الله لعباده الشكر حتى ينفعوا أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[3]؛ ولو كفر الناس جميعًا ولم يشكروا فإن الله تعالى لا يتضرر بذلك فإنه الغني عمن سواه.

وقد يرزق الله عبدًا بأموال طائلة ونعم كثيرة اختبارًا له أيشكر أم يكفر، ولهذا عندما وجد النبي سليمان عليه السلام أن الله قد أنعم عليه نعمًا كثيرة ومعجزات باهرة وكرامات عظيمة حكى الله عزَّ وجلَّ قول نبيه، فقال تعالى:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧.

﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[1]، أي؛ يعود نفع الشكر وثوابه على الشاكر نفسه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[2]؛ ولقول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمرَه كلُّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له...**»[3]. وقال الله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[4]، أي؛ وسيجزي الله الذين يطيعون الله فيما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه، ويشكرون الله على ما أنعم عليهم من النعم والرزق والمال.

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

أسباب خسارة المال وتقليله

أسباب خسارة المال وتقليله

كما وضح الله تعالى طريق الخير فقد وضح طريق الشر، فمن اختار أحد الطريقين فليتوقع النتائج التي ستترتب عليه؛ فإذا كانت نتائج طريق الخير خيرًا وكسبًا للمال وحفظه وزيادته، فإن نتائج طريق الشر تكون خسارة للمال وتقليله وهلاكه.

فكما أن هناك أسبابًا لحفظ المال وزيادته، فهناك أيضًا أسباب لخسارة المال أو تقليله إذا عمل الإنسان بأحدها ترتب على ذلك خسارة في ماله أو إقلالاً منه، وهذا من العدل الإلهي جزاءً وفاقًا لمن أصر على أن يركب رأسه ويرتكب ما حرَّمه أو نهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ. وأسباب خسارة المال أو الإقلال منه كثيرة جدًا، وكذلك الطرق المحرمة للمعاملات المالية، وفيما يلي بعض منها.

١ - فعل السيئات:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[1]، أي؛ إن يصبهم قحط وجدب

(١) سورة النساء، الآيتان: ٧٨-٧٩.

ونقص في الثمار والزروع وضيق في الرزق وضرر في الأموال تشاءموا وتطيروا وظنوا الظنون السيئة، ولم يعرفوا أن ذلك كله بقضاء الله وقدره، وأن ما يصيبهم من نقصان وضرر في الرزق والمال هو من قبل أنفسهم ومن أعمالهم السيئة هم عقوبة لهم بذنوبهم، وما يعفو عنه الله من سيئاتهم أكثر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**لا يصيب عبدًا نكبة، فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر**»[2]، لأن الله تعالى حليم رحيم بعباده على ظلمهم ولو أراد أن يعجل لهم العقوبة على كل ذنب وكل سيئة ما بقي على الأرض من يدب عليها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[3]، فهو تعالى يؤخرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويعاقبهم على معاصيهم وسيئاتهم. وهكذا لو أراد سبحانه وتعالى أن يعاقب الإنسان في ماله على كل سيئة ما بقي لأحد دينار ولا درهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح ويؤخر.

ومع ظلم الإنسان لنفسه فإن رحمة الله تعالى تظل قريبة منه فلا يجزي الله السيئة إلا بمثلها على عكس الحسنة التي يضاعفها الله للعبد عشرة أضعاف؛ قال

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧٧٣٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦١.

الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]؛ وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عزَّ وجلَّ، قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليُحْرَم الرزق بالذنب يصيبه**»[3]؛ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق». فلا يتعجبن أحد إذا ما رأى نقصًا في رزقه وماله، وليراجع نفسه فيما عمله من سيئات ولو كانت صغيرة، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[5]؛ فمن يعمل الصالحات فإن نفع ذلك يعود على نفسه، ومن يعمل السيئات فإنما يرجع وبال ذلك عليه، ولا يعاقب الله أحدًا إلا بذنبه، ولا يظلم الله أحدًا.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من همَّ بحسنة أو سيئة.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٢٢٨٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) سورة الزلزلة، الآية: ٨.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

٢ - أكل أموال الناس بالباطل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾[1].

ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضًا بالباطل، أي؛ بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية، ويدخل في ذلك أشياء كثيرة منها: النصب والاحتيال والغصب والسرقة والقمار وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حرَّمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، كمهر البغي وحلوان الكاهن والساحر وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك.

وكل من أخذ مال غيره لا على وجه إذن الشرع فقد أكله بالباطل، ومن الأكل بالباطل؛ الرجل يكون عليه مالٌ لإنسان ما فينكر المال، ويشتكي إلى القاضي وهو يعرف أن الحق عليه، وأنه آكل للحرام، فيقضي القاضي له، فالحرام لا يصير حلالاً بقضاء القاضي؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2]، إلا أن تكون هذه الأموال عن تجارة مشروعة تمت برضا

(١) سورة النساء، الآيتان: ٢٩-٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

البائع والمشتري فليس في ذلك حرج، وقد هددهم الله تعالى وتوعدهم بالنار إذا فعلوا ما نهاهم عنه في الآية؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أَمِنْ حلال أم مِنْ حرام**»[(١)].

٣ - الربا:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[(٢)]، وقال رسول الله ﷺ: «**الربا سبعون حوبًا، أيسرها أن ينكح الرجل أمه**»[(٣)].

لقد حرَّم الله الربا وأمر عباده المؤمنين بترك الربا وتجنبه وتوعدهم بالحرب إن لم يفعلوا ذلك ويطيعوا أمره؛ قال ابن عباس: يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب، وقد «**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سواء»**»[(٤)]؛ فأي خسارة أعظم من أن يصبح المرابي ملعونًا ومطلوبًا لحرب من الله تعالى ورسوله ﷺ؟! فالعمل في الربا ليس قاصرًا على من يأكل الربا ويزيد ماله به أو يؤكله غيره، وإنما يشمل أيضًا كل من يكتبه ويشهد عليه وهم سواء مع من يأكل الربا أو يؤكله، ولهذا حرَّم العلماء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة**﴾

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٨٤٤.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب الربا.

العمل في المصارف التي تتعامل بالربا؛ لأن العامل فيها يعين على الباطل المحرم وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1].

فالذي يتعامل بالربا ليكسب دراهم معدودة زيادة على رأس ماله إنما هو في الواقع عدو ماله، ويعمل بالسبب الذي يؤدي إلى ضياع ماله كله بما فيه رأس ماله علاوة على ما دخله من الربا، أما الزيادة التي تحصل من الربا في ظاهر الأمر فهي وإن كثَّرت ماله في الظاهر لكن الربا سيمحق هذا المال كمن يشعل النار في ماله، فهل يضمن المرابي أن لا يحصل لنفسه أو لأحد من عائلته مكروه ما يكلفه ما كسبه من الربا وفوقه جزءًا من رأس ماله وربما كله؟ لقد قال رسول الله ﷺ: «**ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة**»[2]. وهذا لا بد حاصل ولو بعد حين.

وأذكر في هذا المقام قصة رجل يملك عقارات متعددة وأرصدة كبيرة في المصارف يشغلها في الربا، وقد نصحه عدد من الناس بعدم التعامل في الربا، ولكنه لم يستجب لأحد، ثم عزم على الهجرة من بلده العربي إلى بلد غربي -ربما لأنهم يدفعون نسبة أكبر من الربا- وكان قد باع جميع العقارات وأخذ ماله معه، وسافر بعائلته جميعًا، وبعد عدة سنوات عاد بمفرده إلى بلده دون أحد من أفراد عائلته وبدون مال، وبدأ يبحث عن عمل ليبدأ من الصفر، فماذا حصل معه خلال هذه السنوات القليلة؟

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٨٤٨.

لقد عمل في التجارة وأخذ يخسر ماله شيئًا فشيئًا، ومن جانب آخر فقد كانت هذه الخسارة تؤثر على نفسه كثيرًا حتى طلّق زوجته الطلقة الأولى ثم أرجعها، فلم يلبث أن طلقها الثانية، ثم أرجعها فلم يمض وقت طويل حتى طلقها الثالثة، ثم أخذ يبحث عن مخرج يعيد فيها زوجته إليه حتى إنه عاد إلى بلده ليحصل من شيخ ما على فتوى تلغي طلقته الثالثة التي لا يمكن بعدها أن يعيد زوجته إليه؛ ولكنه لم يحصل على شيء وعاد خائبًا إلى البلد الذي يقيم فيه، وكانت مطلقته تصرح بأنها لم تعد ترغب به حتى ولو وجد فتوى أو مخرج ما من طلقته الثالثة حتى إنها أخيرًا سألته بأنها إلى متى ستبقى تحتجب عنه في البيت؟ وطلبت منه أن يجد له مكانًا آخر ليقيم فيه، فخرج من بيته ذليلاً يبحث عن مأوى، فطلب من ابنته المتزوجة أن يقيم عندها فوافقت، ثم لم يمض زمن طويل حتى أبلغته بطريقة غير مباشرة أن وجوده يسبب بعض المشكلات بينها وبين زوجها وأنه لا يمكن أن يقيم دائمًا في بيتها، فخرج ذليلاً من بيت ابنته، ولما لم يعد هناك مكان يؤويه عاد إلى بلده الأصلي ليقيم في بيت شقيقته ويبحث عن عمل، بل وأوصى أقاربه أن يبحثوا له عن زوجة غنية تملك بيتًا ومالاً لكي يتزوجها وربما ليوفر عليه وقتًا فلا يحتاج للبدء من الصفر تمامًا! فهذا الإنسان لم يخسر ما كسبه من الربا ومعه رأس ماله وما أكله من حقوق الناس فحسب، بل لقد خسر زوجته وأولاده أيضًا فوق كل ذلك، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا﴾[1]. قال ابن كثير: «يخبر الله تعالى أنه يمحق

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

الربا، أي؛ يذهبه إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعدمه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة»[1].

٤ - الرياء:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾[2]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ﴾[3].

إن الذين ينفقون أموالهم رياء ويظهرون للناس أنهم يريدون وجه الله، ويريدون البر والإحسان؛ وإنما قصدهم مدح الناس لهم، أو شهرتهم بالصفات الجميلة ليُشكَرون بين الناس، أو ليقال عنهم إنهم كرماء وفاعلو خير ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع أنظارهم عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه فهؤلاء يُبطل الله عزَّ وجلَّ صدقاتهم، ويخسرون ما يمكن أن ييسره الله تعالى لهم من زيادة الخير والمال في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة فيما لو أخلصوا

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص: ٣٣٦/١.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

النية لله تعالى؛ ولكنهم عندما راؤوا الناسَ بصدقاتهم صار حالهم كحال المثل الذي ضربه الله عزَّ وجلَّ؛ فمثل المرائي بإنفاقه كمثل الصفوان ـــ وهو الحجر الكبير الأملس ـــ عليه تراب فيظنه الظان أرضًا منبتة طيبة؛ فنـــزل عليه مطر شديد أزال التراب فتركه صلدًا أملسًا فلم يبق عليه شيء من ذلك التراب؛ وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله ولا يقدرون على الانتفاع بثواب شيء مما كسبوا عند حاجتهم إليه؛ فالقاصد بنفقته الرياء غير مثاب كالكافر؛ لأنه لم يقصد بنفقته وجه الله تعالى فيستحق عليها الثواب حتى ولو رأى الناس أن له نفقات كالتراب.

قال رسول الله ﷺ: «**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه... رجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمه فعَرَفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفَق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم ألقي في النار**»[1]، أي؛ قد أردت بفعلك أن يقال عنك جواد كريم فقد قيل، وأخذتَ جزاءك في الدنيا، وليس لك جزاء في الآخرة؛ فأي خسارة أعظم من سحبه على وجهه وإلقائه في النار بسبب إرادته السمعة والشهرة من وراء إنفاقه؟.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

إن معظم الناس قد سمعوا بحاتم الطائي الذي يُضرب به المثل في الكرم والجود حتى إنه يقال: (الكرم الحاتمي)، وإذا أرادوا أن يصفوا أحدًا بالكرم قالوا: أكرم من حاتم طي؛ ونحو ذلك من الأقوال، أي إنه أصبح مقياسًا للكرم والجود، ولكن النبي ﷺ قد أخبرنا أن حاتم هذا كان يريد الذِّكر والسمعة والشهرة، وقد أدرك ذلك وصار بالفعل مشهورًا بالكرم، فقد سأل عديُّ بن حاتم النبيَّ ﷺ فقال: قلت: يا رسول الله، إن أبي كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا، قال: «**إن أباك أراد أمرًا فأدركه**» يعني: الذِكر [1].

٥ - إتلاف أموال الناس:

قال رسول الله ﷺ: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله**» [2].

هذا عِلْم من أعلام النبوة لما نرى ونسمع مما يحصل ممن يفعل شيئًا من هذين الأمرين. وظاهر الحديث أن من يأخذ أموال الناس عن طريق الدَّيْن أو نحوه وفي نيته عدم ردها -وهو إتلافها- أتلفه الله في معاشه أو في نفسه في الدنيا؛ لأن الجزاء قد يكون من جنس العمل، وربما يكون الإتلاف عذاب الآخرة، وربما كلاهما.

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٨١٧٨، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب: من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أو إتلافها.

٦ - أكل أموال اليتامى:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾[1].

يأمر الله تعالى الأولياء والأوصياء بدفع الأموال إلى اليتامى، وأن لا يخلطوا أموالهم بأموالهم أو يتسلطوا عليها بالأكل والانتفاع، وبيَّن تعالى أن أكل أموال اليتامى ظلم، وهو من الكبائر ومن السبع الموبقات، وأن من أكل مال يتيم فإنما يأكل في بطنه نارًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[2].

٧ - الحرص والبخل:

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٣) سورة محمد، الآيات: ٣٦-٣٨.

يخبر الله تعالى أن حاصل الدنيا هو اللعب واللهو إلا ما كان منها لله تعالى، ويخبر الله عزَّ وجلَّ أنه غني عن الناس، ولا يطلب منهم شيئًا من أموالهم لنفسه أو لحاجة منه إليه، وإنما فرض عليهم الزكاة ـــ وهي جزء بسيط من أموالهم ـــ مواساة لإخوانهم الفقراء، فيعود نفع ذلك على المزَكِّين، ويرجع ثوابه إليهم.

ثم يقول تعالى إنه إن سألهم بعض أموالهم يبخلوا ويُخرجوا أضغانهم، وها هم يُدعون للإنفاق في سبيل الله فمنهم من يبخل ولا يجيب إلى ذلك. والحقيقة أن من يبخل فإنما يبخل على نفسه، فيمنع عنها الأجر والثواب ويعود وبال ذلك عليه، ويخسر خسرانًا مبينًا في الدنيا والآخرة، لأن الله عزَّ وجلَّ هو الغني عن كل ما سواه ولا يحتاج أموالهم، وهم الفقراء بالذات إليه، وفقراء إلى أموالهم؛ فإن تولوا عن طاعته واتباع شرعه يستبدل قومًا غيرهم أطوع لله منهم، ولا يكونوا في البخل بالإنفاق في سبيل الله مثلهم. كما قال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾[1]، وكقوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾[2].

وهؤلاء الذين يبخلون فلا ينفقون مما رزقهم الله من الأموال حرصًا منهم على جمعها وعدم تعريضها للنقصان؛ لا يظنوا أن هذا الفعل هو خير لهم، بل هو

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٣.

شر لهم ومضرة عليهم في دينهم، وربما كان في دنياهم؛ ثم مآل أموالهم يوم القيامة ما أخبر الله تعالى عنه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]، فأموالهم نفسها تتحول يوم القيامة إلى أداة لتعذيبهم بحسب حجمها الذي صنعوه بأموالهم التي بخلوا بها و لم ينفقوها في سبيل الله تعالى.

وقد تمنى بعض الناس في عهد النبي ﷺ أن يرزقهم الله من فضله وعاهدوا الله تعالى على أن يتصدقوا ويكونوا من الصالحين، فاستجاب الله لهم فرزقهم الرزق الواسع ولكنهم بخلوا به وصاروا من المنافقين وسخط الله عليهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾[2]. وهؤلاء الذين يعاهدون الله ثم ينقضون عهده يُعرِّضون أنفسهم للهلاك، أو لخسارة بعض ما بأيديهم من المال؛ لأن الله سبحانه وتعالى يسلط عليهم من يفعل ذلك بهم؛ كما أخبر بذلك النبي ﷺ حيث

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٨.

قال: «**ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم**»[1]. قال الحسن رحمه الله: «والله ما أعز الدرهمَ أحدٌ إلا أذلَّه الله». فالبخيل بعيد عن الله، بعيد عن الناس.

وقد حذَّر الله تعالى من الشيطان بأنه ينهى العبد عن الإنفاق خشية الإملاق، ويُخوِّفه من الفقر ليمسك ما بيده فلا ينفقه في مرضاة الله؛ قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]؛ فوعَدَ الله تعالى بالفضل لمن ينفق المال في سبيل الله في مقابلة ما يعد به الشيطان من الفقر.

وكذلك حذَّر النبي ﷺ من البخل وإنه أفسد لدين المرء من الذئاب الجائعة أُرسلت في الغنم فقال ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[3]. وحذَّر النبي ﷺ أيضًا بأن البخل بالزكاة وعدم إخراجها ليس سببًا لمنع الرزق والخسارة في الدنيا فحسب، بل أيضًا سبب لمنع المطر من السماء، قال عليه الصلاة والسلام: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا مُنِعوا القَطْر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطَروا**»[4].

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٢٤٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٣٥.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٢٤٦.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾[1]؛ فقد وعد الله بالتيسير لمن ينفق في وجوه البر، وتوعد بالتعسير على من يبخل ويستغني. والملائكة تدعو الله كل يوم أن يعطي المنفق خلفًا والممسك تلفًا؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا مَلَكَان ينـــزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[2]، ومن المحتمل تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال.

وقد أخبر النبي ﷺ أن أخبث المنازل عند الله تعالى وأخسها وأحقرها: صاحب المال الذي يصرفه في شهوات نفسه بغير علم؛ فيمسك تارة حرصًا وحبًا للدنيا، وينفق تارة أخرى للسمعة والرياء والفخر والخيلاء، فلا يعلم أن لله حقًا في ماله كالزكاة والصدقة ونحو ذلك من الحقوق المتعلقة بالله وبعباده، ولا يتقي فيه ربه لجهله في أخذه وصرفه، ولا يصل به رحمه لقلة رحمته وكثرة حرصه وبخله؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما الدنيا لأربعة نفر:... وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهو بأخبث المنازل**»[3].

---

(١) سورة الليل، الآيات: ٨-١١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿**فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى..**﴾.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٤.

٨ - المن والأذى:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ ﴾[1].

لقد أخبر الله عزَّ وجلَّ أن المن والأذى مبطلان لثواب الصدقة، إنما الثواب يكون لمن أراد بإنفاقه وجه الله تعالى وثوابه. والمنُّ: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها؛ مثل أن يقول: قد أحسنت إليك وأعطيتك، وشبه ذلك من الأقوال. وقال بعضهم: المن: التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطَى فيؤذيه. والمن من الكبائر، وقد ثبت أن المنَّان هو أحد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم؛ قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرارٍ، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»[2].

أما الأذى فهو: السب والتشكي، كقول القائل: ما أكثر إلحاحك، أو خلّصنا الله منك وشبه ذلك. والأذى أعم من المن لأن المن جزء من الأذى.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية.

فالصدقات تبطل بما يتبعها من المن والأذى كما تبطل صدقات من ينفق ماله رياء الناس؛ فما بقي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى. فالذي يؤذي ويَمُنّ بأعطيته ولا يعطي شيئًا إلا منَّةً ما هو إلا خاسر عظيم في الدنيا والآخرة.

٩ - الشكوى إلى الناس:

قال رسول الله ﷺ: «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**»[(١)]؛ فمن أصابته شدة حاجة أو فقر أو ضيق معيشة فعرضها على الناس، وأظهرها بطريق الشكاية، وطلب إزالة فاقته منهم، واعتمد في سدها على سؤالهم لم تُسدَّ فاقته ولم تُقض حاجته، وكلما سُدَّتْ حاجته أصابته أخرى أشد منها، لأنه ترك القادر على حوائج جميع الخلق الذي لا يُغلق بابه، وقصد الذين يعجزون عن جلب النفع لأنفسهم ودفع الضرر عنها.

قال العلقمي: بل يَغضبُ اللهُ على من أنزل حاجته لغيره العاجز وهو القادر على قضاء حوائج خلقه كلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء. وقد قال وهب بن منبه لرجل أتى الملوك: ويحك أتأتي من يغلق عنك بابه ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ويظهر لك غناه؟ فالعبد عاجز عن جلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله تعالى[(٢)].

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٥.
(٢) فيض القدير للمناوي، ص: ٦٦/٦.

١٠ - إتيان السفهاء الأموال:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (١). السَّفه: الجهل والخرق وفساد البصيرة وعدم النظر في العواقب. وأصل السفه في كلام العرب: الخفة والرقة. والسفه: ضد الحلم. والسفهاء في هذه الآية؛ قال ابن عباس: هم بنوك والنساء. وقيل: النساء والصبيان. وقيل: كل من يستحق الحَجْر. قال الطبري: الصواب عندنا أنها عامةٌ في حق كل سفيه صغيرًا كان أو كبيرًا، ذكرًا كان أو أنثى، والسفيه: هو الذي يضيع المال ويفسده بسوء تدبيره.

فالله جلَّ جلاله ينهى عن إعطاء الأموال للسفهاء، وتمكينهم من التصرف فيها؛ لأن السفيه لا يحسن النظر لنفسه في ماله، ولا يؤمن منه إتلاف ماله في غير وجه. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: لا تعمد إلى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو ابنك ثم تنظر إليهم وإلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومؤنتهم ورزقهم.

وقد حصل معي موقف يؤكد هذا الأمر؛ فقد كنت ذات يوم في مجمع حكومي، فاقترب مني رجل كبير في السن يبدو عليه التعب والمرض وحالته يُرثى لها، فسألني عن مكان مكتب النيابة العامة، وأخذ يحكي لي قصته بأنه

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥.

يريد أن يقدم شكوى ضد أبنائه؛ بسبب عدم إنفاقهم نفقة كافية له ولوالدتهم، وذكر لي بأنه كان صاحب محل بقالة وعدة شقق، ولكنه قام فيما بعد بتسجيل المحل والشقق بأسماء أولاده ولم يترك شيئًا باسمه ثقة بأولاده الذين تعب في تربيتهم وجعلهم أغنياء بأمواله التي تنازل لهم عنها، ولم يَشُكَّ لحظة واحدة بأن أولاده سيعقّونه ويحرمونه من أبسط حقوقه عليهم ألا وهي ما يكفيه وزوجته من النفقة، وقد جاء ليشكوهم إلى النيابة العامة عسى أن يعيدوا له حقوقه وأمواله.

أشفقتُ على هذا العجوز وتأثرتُ كثيرًا لقصته حتى إنني لحقت به لأسمع جواب النيابة العامة له بعد سماعهم قصته، فسمعتهم يسألونه باستغراب: هؤلاء أولادك يا عم، فكيف تريد أن تشتكي عليهم؟! ويبدو أنهم لم يتعاطفوا معه بل بكلامهم هذا يثنونه عن تقديم الشكوى أو إيجاد حل لمشكلته!.

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يدعون الله عزَّ وجلَّ فلا يُستجاب لهم:... ورجل آتى سفيهًا ماله؛ وقال الله تعالى:** ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾»[1].

١١ - إضاعة المال:

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[2]. إن الله عزَّ وجلَّ يكره إضاعة المال؛ وإضاعته تكون بصرفه

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى: **﴿لا يسألون الناس إلحافًا﴾**.

في غير الأمور الشرعية، والسرف والتبذير في إنفاقه في غير حق، وتعريض المال للتلف، وسبب النهي أنه إفساد والله لا يحب المفسدين، ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس.

وينهى الله سبحانه أيضًا عن الإسراف والتبذير في إنفاق المال لأن فيه إضاعة وإتلاف للمال فقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[1]؛ ومن أنفق درهمًا في حرام أو فساد أو في غير حق فهو مبذِّر. وقيل: إن من إضاعة المال أن تدفع مالك مضاربة أو إلى وكيل لا يحسن التجارة، ويجهل الطرق الصحيحة والطرق الفاسدة للبيع والتجارة، وما يحل وما يحرم منها، أو تدفعه إلى الكفار؛ ولهذا كره العلماء أن يوكِّل المسلم ذِمِّيًا بالشراء والبيع، أو يدفع إليه مضاربة؛ لما يخاف من معاملته بالربا وغيره.

فالله تبارك وتعالى قد نبَّه المؤمن بأنه ليس المالك المطلق لما لديه من الرزق والمال؛ ولهذا لم يطلِق له الحرية الكاملة في التصرف فيه إسرافًا وتبذيرًا وتضييعًا، وأخبره بأنه سيسأله يوم القيامة عن ماله فيما أنفقه، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس:... وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه**»[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٦٩.

١٢ - العمل بالحرام:

قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُمَ**»[(١)].

لقد نهى الإسلام عن كل عمل أو بيع حرام خبيث أو فيه شيء من الإثم؛ لأن العمل الحرام وإن كان ظاهره كسب المال إلا أنه سيؤول إلى خسارة عاجلاً أم آجلاً؛ لأن الإسلام حين ينهى عن العمل الحرام فلأجل اجتناب النتائج السيئة التي رتبها الله على الحرام، وتطال المال الحرام المكتسب إما بهلاكه أو بضياعه أو بخسارته أو بصرفه على مصائب وأمراض وبلاء أو نحو ذلك، وهذا في الدنيا فقط، فإذا صار إلى الآخرة وجد الخسران الأعظم الذي لا يقارن بما خسره من مال في الدنيا، فيعاقبه الله بالنار جزاءً وفاقًا لما اقترفه في الدنيا من العمل الحرام.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن كل لحم نشأ من أكل الحرام فالنار أولى به؛ قال ﷺ: «**إنه لا يربو لحم نبت من سُحت، إلا كانت النار أولى به**»[(٢)]، ولهذا عندما يأمر الله تعالى بالإنفاق في سبيل الله فإنه عزَّ وجلَّ يأمر أن يكون المال من الحلال الطيب؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[(٣)]؛

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤٣.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٥٠١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

فحتى لو أنفق آكل الحرام مالاً كثيرًا في وجوه البر والإحسان، وتصدق على الفقراء والمساكين من ماله الحرام؛ فإن الله جلَّ جلاله لا يقبله منه؛ لأنه طيب ولا يقبل إلا طيبًا، حتى الدعاء؛ فكيف يستجيب الله دعاء من يأكل الحرام؟!.

قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[1] **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2]. **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذيَ بالحرام؛ فأنَّى يُستجاب لذلك؟**»[3]؛ فالنبي ﷺ يحث على الإنفاق من الحلال وينهى عن الإنفاق من غيره، ويبلغ ﷺ الناس بأنه من أين وكيف يُستجاب دعاء من كان مأكوله ومشروبه وملبوسه ونحو ذلك من حاجات ولوازم الإنسان في هذه الحياة حرامًا؟! وقد تنبأ النبي ﷺ بأمر لم يكن في زمنه وحذَّر من فتنة المال، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام**»[4].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: من لم يبال من حيث كسب المال.

فيجب على كل من يحرص على عدم الوقوع في خسارة لماله أن يجتنب كل عمل أو تجارة أو بيع فيه حرام وإثم؛ وقوله ﷺ عن أطيب الكسب إنه «**كل بيع مبرور**»، أي؛ كل بيع حلال لا غش فيه ولا خيانة، ولا محرم ولا مكروه. وقد حرَّم الإسلام أعمالاً ومعاملات وبيوع معينة يجب عدم العمل بها حتى لا يقع الإنسان في الحرام، وبالتالي يخسر المال ويستحق عقاب الله؛ ومن هذه الأعمال والمعاملات والبيوع:

- الحلف في البيع: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم وكثرة الحَلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق**»[1]، وقال ﷺ: «**الحَلفُ مَنْفَقة للسلعة، ممحقة للبركة**»[2]. فالحلف قد يبيع السلعة إلا أنه قد ينقص أو يمحو أو يبطل بركة الربح، إما بخسارة تلحقه في ماله، بأن يسلط الله تعالى عليه وجوهًا يتلف فيها ماله: إما سرقة أو حرقًا أو غصبًا، أو ينفقها على العلاج من أمراض تصيبه أو تصيب أحدًا من أهله وأولاده، أو بإنفاقه في غير ما يعود نفعه إليه في العاجل أو ثوابه في الآجل، أو بقي عنده وحرم نفعه، أو ورثه من لا يحمده، أو غير ذلك مما شاء الله تعالى، لأن الله عزَّوجلَّ يبغض التاجر والبيَّاع الحلاَّف؛ كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: «**أربعة يبغضهم الله تعالى: البياع الحلاف...**»[3]. والتاجر أو البائع الذي يبغضه الله تعالى لا يمكن أن يوفق في عمله أو ينجح فيه، ولا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب: النهي عن الحلف في البيع.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: **﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾**.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٨٨٠.

يمكن أن يبارك الله عزَّ وجلَّ في رزقه، حتى وإن أنفق ما عنده من السلع بالحلف؛ لأن هذه هي سنة الله في خلقه.

والمراد بهذا الحلف الصادق وهو مكروه من غير حاجة، فإن كان الحلف كذبًا فهو محرم وحال صاحبه سيئة جدًا في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، فهؤلاء يحلفون كذبًا ليكسبوا مبالغ زهيدة ودراهم معدودة؛ وقال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحَلف الكاذب**»[2].

- التطفيف في الوزن: قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾[3].

﴿المطففين﴾ هم الذين إذا اشتروا واكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل وأخذوا الزيادة، وإذا باعوا وكالوا للناس ووزنوا لهم انقصوا الوزن؛ وكل ذلك ليس إلا من أجل كسب طفيف ولهذا سُمُّوا بالمطففين، وقد توعدهم الله

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

(٣) سورة المطففين، الآيات: ١-٣.

بهذا الوعيد العظيم فقال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، ففي هذا الإنكار والتعجب وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظيم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين، بيان بليغ لعظم الذنب ، وتفاقم الإثم في التطفيف.

لقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[3]، وقد أمر الله تعالى شعيبًا عليه السلام أن ينهى قومه عن نقصان الميزان فقال تعالى حكاية عنه: ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[4]، وأمره تعالى أن يدعوهم إلى الوفاء في المكيال والميزان وعدم الإفساد في الأرض: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[5]. وقد أهلك الله تعالى قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال.

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ٤-٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٩.

(٤) سورة هود، الآية: ٨٤.

(٥) سورة هود، الآية: ٨٥.

فمن الواجب على البائع تجنب التطفيف في الوزن ولا يظن أن أمره هينًا بل هو عند الله عظيم، وأن يوفي البائع الكيل والميزان حتى لا ينـــزل به عذاب الله عزَّ وجلَّ. وقد قال رسول الله ﷺ: «**خمس إذا ابتُليتُم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن:... ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أُخِذوا بالسنين، وشدة المؤونة وجَور السلطان عليهم**»[(١)].

- الغش في البيع: عن أبي هريرة ﷺ؛ قال: «مرَّ رسول الله ﷺ برجل يبيع طعامًا، فأدخل يده فيه، فإذا هو مغشوش، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من غش**»[(٢)]. وعنه أيضًا: «أن رسول الله ﷺ مرَّ على صُبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام**»؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني**»[(٣)]. فالبائع الذي يحرص على أن لا يراه الزبون وهو يغش سلعته ينسى أن الله تعالى يراه، وهو الرقيب الحسيب وعلى كل شيء شهيد، وسيجازيه على غشه بما يناسبه من الخسارة في الدنيا والآخرة.

وكذلك الذي يبيع سلعة فيها عيب ولا يبين للمشتري هذا العيب فهو غاش له ولا يحل له ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، ولا**

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٢٤٦.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٨٠٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: قوله ﷺ من غشنا فليس منا.

يحل لمسلم باع من أخيه بيعًا فيه عيب إلا بيَّنه له»[1]، وأخبر ﷺ أن غش البائع وكذبه يمحق بركة بيعه؛ قال ﷺ: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا؛ فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما**»[2].

- أخذ الرشوة: إن الرشوة من المعاملات التي حرمها الشرع، وهي سبب لمحق المال وخسارته وربما خسارة العمل؛ وقد لعن النبي ﷺ الراشي والمرتشي فقال ﷺ: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**»[3]، أي؛ معطي الرشوة وآخذها؛ فما بالك بملعون من الله تعالى، هل سيبارك الله في رزقه ويزيد ماله أم العكس؟!

فالعامل لا يجوز له أن يأخذ الرشوة مقابل استغلال وظيفته، وهو لو جلس في بيته لما رشاه أحد، وإنما ذلك يكون من أجل استغلال موقعه ومنصبه في العمل ليحق باطلاً أو ليبطل حقًا ونحو ذلك، ومن يفعل ذلك فهو ملعون من الله عزَّوجلَّ، وربما بلغت الرشوة به الكفر، قال مسروق: القاضي إذا أكل الهدية فقد أكل السحت، وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر.

حتى الهدية فلا يجوز للعامل أو الموظف أن يأخذها لمجرد أنه يشغل هذا المنصب، وقد استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له ابن الأتبية على

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦٧٠٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا».

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٨٧١.

صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهديَ لي. فقام النبي ﷺ على المنبر -قال سفيان أيضًا: فصعد المنبر- فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول: هذا لك وهذا لي، فهلاَّ جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعَر**» -ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه- «**ألا هل بلغت**»؟ ثلاثًا»[1]. ففي هذا الحديث بيان أن هدايا العمال والموظفين حرام وغلول؛ لأنه خان عمله ووظيفته وأمانته، ولا يمكن أن يبارك الله في الدنيا في رزق خائن يغل ويأكل الحرام، أما في الآخرة فمصيره كما ذكر النبي ﷺ من أنه لا يغل ولا يأخذ شيئًا بطريق الحرام إلا حمله على رقبته؛ فيا لها من خسارة عظيمة، ويا لها من فضيحة كبرى أمام جميع الناس.

١٣ - التلهي بالمال والعمل عن العبادات:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[2].

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله والعبادات وأهمها الصلاة؛ وهددهم وتوعدهم بأن من تشغلهم أموالهم أو أولادهم عن ذكره تعالى فإنهم هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب: هدايا العمال.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٩.

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]؛ يأمر الله تبارك وتعالى المؤمنين بالسعي إلى ذكر الله وصلاة الجمعة وترك البيع وأن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة إن كانوا يعلمون. فقد منع الله البيع وحرَّمه في وقت صلاة الجمعة على من كانت فرضًا عليه، وخص الله تعالى البيع؛ لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق عند صلاة الجمعة.

إن كل عمل يلهي عن عبادة الله يصير حرامًا، وكيف يريد الإنسان الرزق من الله وهو يلهى به عن عبادته؟! فالبيع نفسه أيضًا يمكن أن يصير حرامًا إذا لم يستجب البائع لنداء صلاة الجمعة؛ ولهذا أمر الله تعالى بترك البيع والسعي إلى ذكر الله إذا نادى المؤذن لصلاة الجمعة، وذم الله عزَّ وجلَّ الذين يقدمون التجارة والبيع على ذكر الله تعالى وطلب العلم الشرعي، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[2]، أي؛ إن ما عند الله تعالى من ثواب صلاتكم خير من أموال تجارتكم، والله خير من رزق وأعطى لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته؛ فمنه فاطلبوا، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١١.

قال رسول الله ﷺ: «**من تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديته هلك**»[1]، وقال ﷺ: «**يقول الله سبحانه: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنىً، وأسُدَّ فقرك. وإن لم تفعل، ملأت صدرك شُغلاً، ولم أسُدَّ فقرك**»[2]. إن أعمال الإنسان لا تنتهي، وجميع أصحاب القبور لم تنته أعمالهم وماتوا و لم يحصلوا من الدنيا إلا على ما كتبه الله تعالى لهم من الرزق، بالرغم من كل الحرص والسعي والحركة الدائمة التي أخذت معظم وقتهم وأشغلتهم عن عبادة ربهم، وألهتهم عن الصلاة والطاعات لأجل أن يجمعوا من المال أكثر مما رزقهم الله عزَّ وجلَّ، كما أخبر النبي ﷺ: «**من كانت الدنيا همَّه، فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له**»[3].

وهكذا الذين تلهيهم أعمالهم عن الصلاة والعبادات الأخرى؛ فلا أعمالهم انتهت ولا هم أطاعوا خالقهم بأداء الصلاة وحصلوا على اطمئنان القلب، فصار لزامًا أن يجدوا عكس ذلك وهو ما توعد الله به من يعرضون عن ذكره؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾[4].

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٤.
(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٥.
(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٣.
(٤) سورة طه، الآيات: ١٢٤-١٢٧.

فالذي يعرض عن العمل بدين الله وعن الذكر والصلاة ويقدم عمل الدنيا على ذلك فإن له عيشًا ضنكًا في هذه الحياة، لأن الحرص مستول عليه ولا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا فيصير عيشه ضنك، ورزقه مشوش، وحاله مظلمة، لا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء من الملابس الجميلة، وأكل ما شاء من المطاعم والمشارب اللذيذة، وسكن حيث شاء في البيوت الواسعة والقصور المنيفة، وركب ما شاء من السيارات الفخمة الثمينة؛ فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة، ثم له في الآخرة من العذاب ما هو أفظع وأشد من المعيشة الضنك التي عاشها في الدنيا، وهو أبقى ويدوم أبد الآباد، أعاذنا الله من ذلك.

١٤ - كفر النعمة:

قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[2]؛ الشكر في اللغة: الظهور. والكفر: الستر والتغطية. كما وعد الله عزَّوجلَّ من شكر

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ١١٢.

الله على إنعامه أن يزيده من فضله، فقد توعد من كفر إنعامه بالعذاب الشديد، وكما أن الآية نص في أن شكر الله على الشيء سبب للمزيد منه، فهي نص في أن الكفر سبب للعذاب، وقد مضت سنة الله في خلقه أن من كفر نعمة الله و لم يشكر لله عليها يسلبها الله منه ويذيقه ضدها كما حدث مع القرى التي كفرت بأنعم الله.

وقد ضرب الله لنا الأمثال في القرآن لعلنا نتذكر أو نخشى أو نتفكر، فضرب تعالى لنا أمثالاً عن عاقبة الذين يكفرون نعمة الله عليهم ويجحدونها، ومن هذه الأمثال قصة سبأ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾[1].

فقد أنعم الله عزَّ وجلَّ على قوم سبأ الذي كانوا في اليمن نعمًا كثيرة، ووسَّع عليهم الرزق والعيش الهنيء الرغيد، والبلاد المرضية، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماءً وثمرًا، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً

(١) سورة سبأ، الآيتان: ١٥-١٦، وراجع قصة سبأ في تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/٥٤٠-٥٤٣.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾[1]؛ فالأمن حاصل لهم في سيرهم ليلاً ونهارًا.

وكان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه أيضًا سيول أمطارهم وأوديتهم فعمدوا إلى بناء سد عظيم محكم حتى ارتفع الماء، وحكم على حافات ذينك الجبلين فكانوا يصرفون الماء حيث شاؤوا من أرضهم، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن، وكان هذا السد ببلدة اسمها مأرب، قريبة من مدينة صنعاء فسمي السد باسمها وصار يُعرف بـــ (سد مأرب)، وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه وأن يشكروا له بأن يوحدوه ويعبدوه ففعلوا ذلك إلى ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله وكفروا بنعمة الله وجحدوها ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ﴾[2]؛ فبطروا النعمة وأحبوا السفر الشاق الذي يحتاجون في قطعه إلى الزاد والرواحل، والسير في الحر والخوف، فأرسل الله جلَّ جلاله سيل العرم وتهدم السد وسقط[3]، فانساب الماء في أسفل الوادي وخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك، ونضب الماء عن الأشجار التي بين الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الجنتان ذواتا الأشجار المثمرة

(١) سورة سبأ، الآية: ١٨.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٩.
(٣) أعيد بناء السد في زمننا هذا.

الأنيقة النضرة، والمناظر الحسنة، والظلال العميقة، والأنهار الجارية، إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، ومزَّقهم الله عزَّ وجلَّ كل ممزق، وفرَّق شملهم فتفرقوا في البلاد بعضهم إلى عُمان، وبعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى يثرب (المدينة المنورة)، وبعضهم إلى تهامة وبعضهم ههنا وههنا، وذلك بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء، وجعلهم الله تعالى أحاديث للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وعاقبهم كما نتحدث نحن عنهم الآن ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[1]؛ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2].

ففي هذا الذي حلَّ بهؤلاء من النقمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والآثام لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب، شكور على النعم، فنعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أُعطي شكر؛ وإذا ابتلي صبر.

فهذه سنة الله فيمن أنعم الله عليه بالرزق الواسع ثم لم يشكر الله على ذلك، بل بطر وتجبر وطغى وكفر نعمة الله فيما أنعم عليه من الأرزاق بدلاً من ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ﴾[3]. ولا يظنن أحد أن كفر النعمة وعدم شكر الله عليها يتعلق باللسان فقط، كأن يمتنع عن

(١) سورة سبأ، الآية: ١٧.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٩.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥٨.

قول: الحمد لله، الشكر لله، بل إن معنى كفر النعمة أن يستعمل النعمة في غير الحكمة التي أريدت بها، ومن ذلك: البغي بالمال والترفع به على خلق الله والتعاظم عليهم والتجبر بهم والفساد فيهم؛ كما فعل قارون الذي كان من قوم موسى فأهلكه البغي لكثرة ماله؛ قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ۞﴾[1].

فقد آتاه الله من الأموال الكثيرة التي يثقل حملها على مجموعات من الرجال الأقوياء ووعظه قومه ونصحوه بأن لا يفرح ولا يبطر بما هو فيه من المال؛ لأن الله تعالى لا يحب الفرحين الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ونصحوه بأن يستعمل ما وهبه الله من الأموال الطائلة في طاعة ربه والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل له بها الثواب في الدنيا والآخرة، وأن لا ينسى نصيبه من الدنيا مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، وأن يحسن إلى خلق الله كما أحسن الله إليه، وأن لا تكن همته بما هو فيه أن يفسد في الأرض ويسيء إلى خلق الله لأن الله عزَّ وجلَّ لا يحب المفسدين. فبماذا أجاب قارون على نصيحة قومه؟ قال الله تعالى مخبرًا عن جواب قارون

(١) سورة القصص، الآيتان: ٧٦-٧٧، وراجع قصة قارون في تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص: ٣/٤١٠-٤١٢.

لقومه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[1]، أي؛ إن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه أني أهل له وأني أستحقه ولمحبته لي ورضاه عني. فقال تعالى رادًا عليه: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[2]، أي؛ قد كان من هو أقوى منه وأكثر جمعًا للأموال وما كان ذلك عن محبة منا له، ومع ذلك فقد أهلكهم الله بكفرهم وعدم شكرهم؛ قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ﴾[3]، أي؛ طغى أهلها وكفروا نعمة الله فيما أنعم به عليهم الأرزاق فأهلكهم الله بكفرهم؛ وعما قليل سيكون مصير قارون مثل مصيرهم؛ لأن الله جلَّ جلاله قد توعد من طغى في رزق الله أن يحل عليه غضبه، وويل لمن حلَّ عليه غضب الله تعالى؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾[4].

فقد خرج قارون ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجمُّل باهر، مفتخرًا على قومه وباغيًا عليهم، فتمنى من يريد الحياة الدنيا أن يكون لهم مثل ما أوتي قارون؛ لأنه ذو حظ عظيم من الدنيا، فحلَّ عليه غضب الله وهوى في الأرض.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٨.

(٤) سورة طه، الآية: ٨١.

قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1]؛ فقد عاقبه الله جلَّ جلاله بأن خسف به وبداره الأرض فما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه، ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله، ولا كان هو في نفسه منتصرًا لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره.

أما الذين تمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون من الأموال فإنهم لما رأوا ما حلَّ بقارون علموا أن المال ليس دليلاً على رضا الله عن صاحبه، وأن الله تعالى يعطي الرزق لمن يشاء ويمنع عن من يشاء، ويوسع ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة.

ومن كفر النعمة استعمالها في معصية الله؛ فمن استخدم ماله وتقوَّى به على ارتكاب المعاصي كان ذلك كفرًا بنعمة المال، فكان ذلك سببًا في زوال هذه النعمة والإصابة بضدها وهو الفقر، ولهذا بعد أن قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، قال تعالى: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، أي؛ إذا جحدتم حقي فلم تشكروني على نعمي فإن عذابي لشديد، وذلك بسلبها عنكم وعقابي إياكم، فوعد بالعذاب على كفر النعمة كما وعد بالزيادة على الشكر.

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٨١-٨٢.

والله تبارك وتعالى لا يحب الكفر ولا يرضاه لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[1]. إن الله جلَّ جلاله يأمر بالشكر وينهى عن كفر النعمة لا من أجله تعالى فهو تبارك وتعالى غني عنا وعن العالمين؛ قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[2]؛ فهو تعالى غني عن شكر عباده، وكفر الإنسان بل كفر الناس أجمعين لن يضر الله شيئاً؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾[3]؛ إنما ينهى الله تعالى عن كفر النعمة لأجل مصلحة العبد؛ لأن ضرر الكفر وعقابه يعود على الكافر نفسه في الدنيا والآخرة؛ ولهذا لا يرضى الله لعباده الكفر حتى لا يضرون أنفسهم ولا يتعرضون لعذاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[4].

---

(١) سورة الزُمر، الآية: ٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٨.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٦-١٧٨.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

وقد يغدق الله عزَّ وجلَّ على عبد بالنعم الكثيرة والمال الجزيل، ولا يكون ذلك لمحبة الله له ورضاه عنه وأنه أهلٌ لهذه النعم ومستحق لها فقد يكون ذلك استدراجًا واختبارًا له أيشكر أم يكفر، وهذا نبي الله سليمان عليه السلام عندما رأى نعم الله عليه علم أن ذلك اختبار له، وحكى الله عزَّ وجلَّ عنه قوله فقال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [1]، أي؛ يعود نفع الشكر وثوابه على الشاكر نفسه، وضرر الكفر وعقابه على الكافر نفسه ولا يضر الله شيئًا بكفره؛ لأن الله جلَّ شأنه غني عن العباد وعن عبادتهم وكريم في نفسه وإن لم يعبده أحد فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد؛ ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [2]؛ فمن عصى الله و لم يشكره على نعمه فلن يضر الله شيئًا بل يضر نفسه، وسيعاقبه الله في الدنيا والآخرة بما يستحقه من سلب النعمة منه والعذاب في الآخرة.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

أنت والمال
في الآخرة

أنت والمال في الآخرة

لقد جعل الله عزَّ وجلَّ الدنيا مزرعة الآخرة، وأعطى الله تعالى الفرصة لكل إنسان أن يستخدم الدنيا كمزرعة خاصة له، يطرح فيها ما يشاء من أنواع البذور، ثم يحصد في الدنيا والآخرة ما زرعته يداه، فإن زرع بذورًا خبيثة كانت الأشجار والثمار خبيثة، وإن زرع بذورًا طيبة صالحة كانت الأشجار والثمار طيبة صالحة؛ وهكذا الجزاء فهو من جنس العمل والثمار من جنس الشجر، وأقرب مثال على ذلك أن النبي ﷺ قال: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له نخلة في الجنة**»[1]؛ فمن زرع تسبيحة واحدة حصد نخلة في الجنة؛ وقس على ذلك كل عمل يتعلق بالمال سواء كان العمل صالحًا أم سيئًا فالحصاد بحسبه.

فالثواب والعقاب في الآخرة بحسب الأعمال التي عملها الإنسان في الدنيا قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[2]، فكل عمل مسجل في كتاب العبد، ولا يظلم الله أحدًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[3]؛ وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٥٧.
(٢) سورة غافر، الآية: ١٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠.

﴿ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]؛ فما من صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أحصاها هذا الكتاب الذي سيقرأه العبد بنفسه كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[2]، وهذا الكتاب إما أن يعطى للعبد بيمينه وإما بشماله بحسب محتوياته من الأعمال الصالحة أو السيئة.

فالله جلَّ جلاله لا يظلم أحدًا مثقال ذرة من خير أو شر، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[3]؛ إنما هي أعمال كل إنسان كانت تُحصى له في الدنيا وتوفى له يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4]، وروى النبي ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[5]؛ فمن كان يستخدم ما رزقه الله تعالى من المال

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣-١٤.
(٣) سورة الزلزلة، الآيتان:٧- ٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم.

الحلال فيما أمر به الله عزَّ وجلَّ أو أمر به رسوله ﷺ؛ كان الوفاء له يوم القيامة حسنات وثواب، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[1]، ومن كان يجمع المال الحرام ويستخدمه فيما نهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ؛ كان الوفاء له يوم القيامة سيئات وعقاب؛ قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: ... وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه**»[2]. وفي الفصل التالي سأبدأ بعون الله جلَّ جلاله في ذكر ثواب المال وحسناته في الآخرة، ثم يليه فصل عقوبات المال وسيئاته في الآخرة.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٦٩.

أنت والمال في الآخرة
ثواب المال وحسناته

المنفقون للمال في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]. لقد حث الله تعالى عباده على المبادرة إلى إنفاق الأموال في وجوه الخيرات، ليلاً ونهارًا سرًا وعلانية؛ لأجل أن تكفر عنهم الذنوب والزلات، ويحصل لهم الثواب والدرجات، ليكونوا من أهل الجنات التي عرضها كعرض الأرض والسماوات، ومدح الله عزَّ وجلَّ الذين يفعلون ذلك ووعدهم بالأجر العظيم يوم القيامة، وبأنهم لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة وأمور الآخرة، ولا هم يحزنون على ما تركوه وخلفوه من الأولاد ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها ولا يأسفون عليها؛ لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[1]. يضرب الله تعالى لنا مثلاً لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيل الله تعالى، فالذي كان ينفق في سبيل الله عزَّ وجلَّ وابتغاء مرضاته فإن له بكل حسنة عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف، قال رسول الله ﷺ: «**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف**»[2]، وقد جاء رجل بناقة مخطومة إلى رسول الله ﷺ فقال: هذه في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة كلها مخطومة**»[3]؛ قال النووي في شرح صحيح مسلم: ومعنى مخطومة، أي؛ فيها خطام وهو قريب من الزمام؛ وقيل: يحتمل أن المراد أجر سبعمئة ناقة، ويحتمل أن يكون على ظاهره ويكون له في الجنة بها سبعمئة كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنـــزه، كما جاء في خيل الجنة ونجبها وهذا الاحتمال أظهر والله أعلم[4].

المجاهدون في سبيل الله بالمال:

لقد أخبر الله تعالى المؤمنين ودلهم على تجارة مضمونة الربح في الآخرة فضلاً عن الدنيا، ووصفها بأنها خير التجارة؛ وهي الجهاد في سبيل الله بالمال التي وعد عليها بعدة أشياء في الآخرة: المغفرة، والأجر العظيم، ودخول الجنة، والمساكن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب: فضل الصيام.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الصدقة في سبيل الله تعالى.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي: ٣٨/١٣.

الطيبة في الجنات؛ هذا عدا ما نالوه في الدنيا من النصر والفتح والغنيمة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣﴾[1].

ومن فضل الله تبارك وتعالى وكرمه أنه قد جعل للمجاهد في سبيل الله بأمواله أجرًا مثل أجر المجاهد بنفسه؛ وجعل تعالى من جهَّز غازيًا ومده بما يلزمه من عدة الجهاد، أو من خلف الغازي في عائلته بخير فقدم لهم المساعدة وأنفق عليهم المال؛ جعله تعالى غازيًا، قال رسول الله ﷺ: «**من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا**»[2]، وجعل تعالى الأجر لمن فعل ذلك مثل أجر الغازي بنفسه وإن لم يغز هو بنفسه، قال ﷺ: «**من جهز غازيًا في سبيل الله، كان له مثل أجره. من غير أن ينقص من أجر الغازي شيئًا**»[3]. وإذا كان أجر من دفع المال في تجهيز الغازي مثل أجر الغازي في سبيل الله بنفسه فيا له من رابح في هذه التجارة، ويا له من فائز في هذه المساهمة الجليلة؛ لأن أجر الغازي

---

(١) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٣.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير.

(3) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٢٢٩.

المجاهد في سبيل الله عظيم جدًا؛ فقد «**تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة**»[(١)]، بل أعدَّ الله عزَّ وجلَّ مئة درجة في الجنة للمجاهدين في سبيله، قال ﷺ: «**إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»[(٢)]. فنعم التجارة تجارة الجهاد في سبيل الله، ونعم المجاهدون في سبيل الله بالمال.

المتصدقون للمال:

لقد أخبر النبي ﷺ أن العبد يلقى الله تبارك وتعالى يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، وأن الله تعالى يقول لعبده: «**ألم أعطك مالاً وأُفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم. اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[(٣)]؛ فالذين كانوا يتصدقون في الدنيا بقليل المال وكثيره فأولئك كانوا يتقون بذلك النار يوم القيامة، وليس هذا فحسب، بل من تصدق منهم بقيمة تمرة من مال حلال فسيجد الآن في يوم القيامة أن الله تعالى قد رباها له حتى أصبحت مثل الجبل؛ كما أخبر بذلك النبي ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب -ولا يقبل الله إلا الطيب- فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: الصدقة من كسب طيب.

وذلك لأن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1]؛ وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[2]، أي؛ يضاعف الله لهم الثواب والجزاء. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[3]، أي؛ أن الذين كانوا يتصدقون وينفقون أموالهم بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله، لا يريدون ممن أعطوه جزاءً ولا شكورًا سيضاعف الله لهم يوم القيامة الحسنة بعشرة أمثالها، ويزاد على ذلك إلى سبعمئة ضعف، وفوق ذلك لهم أجر كريم وثواب جزيل، والذين ماتوا وتركوا خلفهم صدقة جارية فهؤلاء لهم حسنات جارية ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4].

فمن وقاه الله تعالى النار بما كان يتصدق في الدنيا وربى له صدقاته، وضاعف له ثوابه بما كان ينفق في مرضاة الله، أو بما ترك خلفه من صدقة جارية فإن الله عزَّ وجلَّ يجعل مثواه الجنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٨.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٨.

أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ (١).

إن عقبى الدار وهي عاقبة الآخرة والجنات التي يقيمون فيها خالدين فيها أبدًا هي لمن اتصف بهذه الصفات الحميدة ومنها: الذين ينفقون مما رزقهم الله في السر والعلن على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم من زوجات وأبناء وأقرباء وأجانب من فقراء ومساكين ومحتاجين لم يمنعهم من ذلك مانع في الليل والنهار.

ومن يتصف بهذه الصفات لا يدخله الله عزَّ وجلَّ جنات عدن فحسب، بل يجمعه الله جلَّ جلاله فيها بأحبابه من الآباء والأبناء والأهل ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر عينه بهم حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتنانًا من الله وإحسانًا من غير تنقيص للأعلى عن درجته، أما الملائكة فإنها تدخل عليه من كل باب من هنا وهناك مسلّمين عليه ومهنئين له بدخول الجنة وبما حصل له من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ (٢).

(١) سورة الرعد، الآيات: ٢٢-٢٤.
(٢) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩-٣٠.

المؤتون للمال على حبه :

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾[1]. إن المؤمن بالله واليوم الآخر الذي كان يُخرج ماله في الدنيا وهو محب له راغب فيه، وكان يعطيه وهو صحيح يأمل العيش ويخشى الفقر فيعطي منه أقرباءه الذين هم أولى من أعطى من الصدقة، الذين أمر الله تعالى بالإحسان إليهم في غير موضع من كتابه العزيز، ويعطي منه اليتامى الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ ودون القدرة على التكسب، ويعطي منه المساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم، فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم، ويعطي منه ابن السبيل المسافر المجتاز الذي نفد ما معه من المال والزاد فيعطى ما يوصله إلى بلده أو الذي يريد سفرًا في طاعة فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه، أو الضيف الذي ينـــزل بالمسلمين، ويعطي منه السائلين الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكاة والصدقة، ويعطي منه في الرقاب وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم، فالذي كان يعطي هؤلاء من ماله هو من الذين صدقوا وهو من المتقين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[2]، أي؛ هم في دار كرامة الله ورضوانه، وفضله وامتنانه، وجوده وإحسانه عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

الصابرون على البلاء في المال:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]؛ فالذين ابتلاهم الله تعالى في أموالهم في الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[2]؛ فسلّموا وصبروا واتقوا الله في أقوالهم وأفعالهم عند وقوع البلاء والمصيبة فلم يقولوا ولم يفعلوا إلا ما يرضي الله عزَّوجلَّ وقالوا كما أمرهم سبحانه أن يقولوا في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[3].

فالله تبارك وتعالى يوفيهم أجرهم يوم القيامة بغير حساب، أي؛ لا يعطيهم الثواب بقدر ما عملوا وإنما يعطيهم بغير تقدير، ويزيد لهم على الثواب، ويغرف لهم غرفًا؛ وقد قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[4]؛ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

الذين يقدمون العبادة على المال:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]؛ إن الذين أطاعوا أمر الله تعالى فتركوا البيع وجمع المال وسعوا إلى ذكر الله وصلاة الجمعة سيجزيهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة بما هو خير من تجارتهم وبيعهم، لأنه تعالى قد أخبرهم بأن ترك البيع والسعي إلى ذكر الله خير لهم، وأخبرهم سبحانه أيضًا بأن ما عنده من ثواب الذكر والصلاة خير من التجارة والأموال، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[2].

فإذا كان الله عزَّ وجلَّ قد مدح هؤلاء في الدنيا وقال عنهم: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[3]؛ فإنه تبارك وتعالى سيجزيهم اليوم في الآخرة بما وعدهم أنه خير من التجارة والأموال؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٩.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ١١.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.

المنظرون والواضعون للمال:

لقد أمر الله عزَّ وجلَّ بالصبر على المعسر الذي لا يجد مالاً ليسدد دينه، وإمهاله حتى يتيسر له المال، وأخبر تعالى بأن التصدق بإسقاط الدَّين عنه خير من ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقد أخبر النبي ﷺ أن من يفعل ذلك فإنه يكون ممن يظلهم الله عزَّ وجلَّ تحت ظل عرشه يوم القيامة؛ قال ﷺ: «**من أنظر معسرًا أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله**»[2]؛ ورجل يظله الله تعالى تحت ظل عرشه سيتجاوز عنه كما أخبر النبي ﷺ بذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «**كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه**»[3].

فإنظار المعسر أو إسقاط الدَّين عنه شأنه عظيم عند الله جلَّ جلاله، فإذا كان خالصًا لله تعالى كفَّر كثيرًا من السيئات وتجاوز الله عن صاحب هذا العمل، وإذا تجاوز الله عن عبد أدخله الجنة، قال النبي ﷺ: «**إن رجلاً كان**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٠٥٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: من أنظر معسرًا.

فيمن كان قبلكم أتاه المَلَك ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم. قيل له: انظر. قال: ما أعلم شيئًا، غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا، وأجازيهم فأنظُر الموسر وأتجاوز عن المعسر. فأدخله الله الجنة»[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.

أنت والمال في الآخرة
عقوبات المال وسيئاته

لا يغني المال ولا ينفع في الآخرة:

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1].

ما من إنسان يعيش في هذه الدنيا إلا وسيأتي عليه يوم يموت فيه، ويفضي إلى ما قدَّم من عمل خيراً كان أو شراً؛ وعندما يموت الإنسان يتبعه إلى قبره ثلاثة فيبقى معه عمله ويرجع أهله وماله؛ قال رسول الله ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[2].

فالمال الذي ظل الإنسان طوال عمره يجمعه وربما ارتكب ما حرَّم الله أو ترك الدين ونسي الآخرة في سبيل جمعه؛ سيتركه الآن بعد موته لغيره ليستفيد منه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت.

ويستمتع به؛ لأن الميت لا يمكنه أخذ ماله معه وبالتالي لن ينفعه المال في آخرته التي أفضى إليها؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[1]؛ وإن مات هذا الإنسان كافرًا فلن يغني عنه ماله من الله شيئًا، قال تعالى: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]، بل لو كان يملك مال الدنيا كلها ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما نفعه ذلك كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]. وعندئذ يقول ما أخبر عنه الله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَه﴾[4]، بل سيتحمل يوم القيامة وزر جمعه للمال بالطرق المحرمة والوسائل الخبيثة، وسيعاقب بنوع من العقاب يناسب الفعل الذي ارتكبه في جمع المال؛ حتى إنه مهما تنعم في الدنيا بكل ما فيها من نعم ورفاهية فسينسى ذلك كله بمجرد أن يغمس غمسة في النار؛ قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعَم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبَغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا ربِّ**»[5].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٨.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٢٨.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا.

فمثل هذا الإنسان يستحق ما ينـــزل به من العذاب بسبب تكالبه على الدنيا وجمعه المال دون أن يبالي أمن حلال هو أم من حرام؛ لأن ربه عزَّوجلَّ حذَّره من المال وفتنته ومن الدنيا وزينتها ومع ذلك أبى إلا أن يعصي ربه، ويتكالب على الدنيا ويكون فيها كما قال النبي ﷺ: «**جيفة بالليل، حمار بالنهار**»[1]؛ حمار بالنهار بسعيه المستمر دون توقف في جمع المال.

فقد ضرب الله عزَّ وجلَّ للناس مثلاً عن الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة، فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[2]؛ فهي كمثل النبات الذي يكون خضرًا ثم يصفر ثم يصير بعد ذلك كله يبسًا متحطمًا، وهكذا الإنسان يولد فينشأ فيقوى فيكسب المال والولد ويرأس، ثم يأخذ بعد ذلك في الانحطاط فيشيب ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب من مرض ونقص مال وعز، ثم يموت فيضمحل أمره ويصير ماله لغيره.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٨.

(٢) سورة الحديد، الآيتان: ٢٠-٢١.

ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، فليس في الآخرة القريبة إلا عذاب شديد أو مغفرة من الله ورضوان، أما الحياة الدنيا فهي متاع فانٍ غارٌّ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أن لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة؛ قال رسول الله ﷺ: «**لقاب قوس أحدكم -أو موضع قدم- من الجنة خير من الدنيا وما فيها. ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولَنَصيفها** -يعني الخمار- **خير من الدنيا وما فيها**»[1].

وقد ذم الله تعالى الدنيا وزهَّد فيها، في كثير من الآيات، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا والزهد فيها وصرف الخلق عنها وترغيبهم في الآخرة ودعوتهم إليها. قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤-١٥.

يخبر الله تعالى عما زُيِّن للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ، ومنها أنواع المال، وأن ذلك إنما هو زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة، وأن الله عنده حسن المرجع والثواب، ثم أخبر بما هو خير مما زُيِّن للناس، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار من أنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر والعسل، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ماكثين فيها أبد الآباد، وأزواج مطهرة من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا، ورضوان من الله يحل عليهم فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1]، فهذا من الله جلّ وعلا تزهيد في الدنيا وتقليل وتحقير لها، وترغيب في حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة التي هي الحياة الدائمة الحق التي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد. وأخبر تعالى بأنه لا الأموال ولا الأولاد تقرب إليه، وإنما هو الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[2].

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٧.

وقد توعد الله عزَّ وجلَّ أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها وغفل عن آياته و لم يرج لقاءه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾[1]. وعيَّر سبحانه من رضي بالدنيا من الآخرة من المؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2].

وقد حذَّر رسول الله ﷺ أيضًا من الدنيا ورغَّب في الآخرة، لأنها هي دار المقر، وما الدنيا فيها إلا كما قال عليه الصلاة والسلام: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع**»[3]، فما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قِصَر مدَّتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.

إن إيثار الدنيا على الآخرة يكون إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل. وما أكثر ما يكون منهما!. وما دام هذا الإنسان قد أبى إلا عصيان الله

---

(1) سورة يونس، الآيتان: ٧-٨.

(2) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

تعالى واللهث وراء المال وجمعه بالوسائل المحرمة، وإنفاقه فيما يغضب الله تعالى بالرغم من كل التحذير والوعيد والتهديد الرباني، وما دام قد مات وصار إلى يوم القيامة فليستعد الآن للحساب والعقاب على ما اقترفته يداه بسبب المال؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1]، فالله جلَّ جلاله عادل في حكمه بين خلقه ولا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2].

المحاربون لله ولدينه بالمال:

إن الكافرين الذين رزقهم الله المال الكثير فأبوا إلا أن ينفقوه في محاربة الله ومحاربة دينه؛ فقد ذهبت أموالهم دون أن تحقق الهدف من إنفاقها وجاء دور العقاب، حيث سيُحشرون إلى جهنم، وإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي، وهؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٧.

(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٨.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

ومثل هؤلاء المجرمين الكفرة المحاربين لله ولدينه لو كانوا يملكون ما في الأرض جميعًا فأنفقوه ليفتدوا به من عذاب الله ما تقبل الله منهم، فليس لهم اليوم إلا العذاب الأليم الأبدي، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾[2]. إن الكفرة لما رُزقوا الأموال الكثيرة والنعم الجليلة ظنوا أن ذلك خير لهم من الله لمحبته لهم فطمعوا في المزيد، ولم يعلموا أن ذلك كان إملاءً من الله تعالى واختبارًا لهم ليزدادوا إثمًا على إثم، ثم يكون مصيرهم في الآخرة العذاب المهين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥-٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٤) سورة المدثر، الآيات: ١١-١٧.

فالذي أنعم الله تعالى عليه بنعم الدنيا ورزقه مالاً كثيرًا وبسط له في العيش بسطًا، ومكنه من صنوف المال والعقارات والأراضي والبيوت والأثاث والسيارات وغير ذلك من متاع الدنيا، فكفَر بنعم الله عزَّ وجلَّ و لم يتصرف فيها فيما أمره الله تعالى فسيرهقه الله صعودًا في النار، وقيل: الصَّعود: جبل من نار يتصعد فيه سبعين سنة ثم يهوي كذلك فيه أبدًا. وقيل: صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فإذا صار في أعلاها حُدِر في جهنم، فيقوم يهوي ألف عام من قبل أن يبلغ قرار جهنم، يحترق في كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقًا جديدًا. ويكلفه الله عذابًا لا راحة فيه وسيغمره الله في سقر قال ابن عباس: هي الطبق السادس من جهنم. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾[1]، أي؛ تأكل عظامهم ولحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم، ثم تبدل جلودهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[2].

المتنعون عن أداء زكاة المال:

إن الذين كانوا يمتنعون عن دفع حق الله تعالى فيما رزقهم من أموال فلا يؤدون الزكاة المفروضة، فهؤلاء عقابهم اليوم في الآخرة كما أخبر الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) سورة المدثر، الآيات: ٢٧-٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٦.

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [1]. الكنـــز هو كل شيء مجموع بعضه على بعض سواء كان في بطن الأرض أم على ظهرها، في بيت أو مصرف أو غير ذلك. فهؤلاء الذين جمعوا الأموال وكنـــزوها ولم يؤدوا زكاتها سيُعذبون بها، وهذا في غاية العدل، فإن من أحب شيئًا وقدمه على طاعة الله عذب به، وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عُذِّبوا بها، كما كان أبو لهب لعنه الله جاهدًا في عداوة رسول الله ﷺ وامرأته تعينه في ذلك، كانت يوم القيامة عونًا على عذابه أيضًا في جيدها، أي؛ عنقها حبل من مسد، أي؛ تجمع من الحطب في النار وتلقي عليه ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشفق عليه في الدنيا، كما أن هذه الأموال لما كانت أعز شيء على أربابها في الدنيا كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة، فيُحمى عليها في نار جهنم، وناهيك بحرِّها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم؛ لأنهم جمعوا المال لتحصيل الجاه والتنعم بالمطاعم والملابس والمناكح، ولم يصرفوه في حقه.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره**

(1) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤-٣٥.

خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[1]، وقال ﷺ: «**هم الأخسرون ورب الكعبة**» فقلت: يا رسول الله فداك أبي وأمي مَن هم؟ قال: «**هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا** [من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله] **وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أُخراها عادت عليه أُولاها حتى يُقضى بين الناس**»[2]. فكل نوع من أنواع المال الذي يمتلكه الإنسان يُعذب به يوم القيامة إذا لم يؤد زكاته، حتى وإن أدَّى زكاة الأنواع الأخرى.

كما أن لمانع الزكاة نوع آخر من العذاب كما أخبر به النبي ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له ماله شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزِمَتيه -يعني بشدقيه- يقول: أنا مالك، أنا كنـــزك**. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى آخر الآية»[3] وتمام الآية: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[4]؛ فماله يُصوَّر له

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله**﴾ الآية.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

حية كثر سمها تطوقه ثم تأخذ بشدقيه وتقول له: أنا مالك، أنا كنـــزك؛ وذلك لزيادة تعذيبه حيث لا ينفعه الندم، وفيه نوع من التهكم. وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال: «**ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه، ويقال: هذا مالك الذي كنت تبخل به. فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فِيه فجعل يقضمها كما يقضم الفحل**»[1].

المرابون بالمال:

إن الذين رزقهم الله المال فلم يرضوا بما قسم الله لهم من المال الحلال وأبوا إلا أن يفسدوه بالمال الحرام وهو ما أخذوه من الربا، فلم يكتفوا بما شرع لهم من الكسب المباح وأبوا إلا السعي في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة، فهؤلاء أولاً يخرجون من قبورهم ويقومون منها إلى بعثهم ونشورهم كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، فالله تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ﴾[2]، قال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق. وقيل: يجعل معه شيطان يخنقه. وقيل: يُبعث كالمجنون عقوبةً له وتمقيتًا عند جميع أهل المحشر، وهذه علامة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

الذين كانوا يأخذون الربا في الدنيا يُعرفون بها يوم القيامة، ثم العذاب من وراء ذلك؛ كما أن الغالّ يجيء بما غلّ يوم القيامة بشهرة يشهَّر بها، ثم العذاب من وراء ذلك. وما أن يخرج آكل الربا على هذه الحالة حتى يقال له: خذ سلاحك للحرب؛ ذلك لأن الله جلّ جلاله قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[1]؛ ثم بعد ذلك يكون العذاب الأليم الشديد في النار.

الطغاة والبغاة بالمال:

إن الطغاة والبغاة الذين رزقهم الله عزَّ وجلّ الأموال وأمرهم بأن يأكلوا من الحلال فعصوا أمر ربهم وأكلوا من الحرام، أو طغوا في رزق الله فقد حلّ عليهم غضب الله، وما أدراك ما يكون مصير من يحلّ عليه غضب الجبار جلّ وعلا؟! قال تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[2].

المتكبرون البطرون بالمال:

إن الذي أنعم الله عليه ورزقه من فضله بدلاً من أن يتواضع لله تعالى ويشكره على نعمه، ويقوم بحق النعمة تكبر وبطر وأعجبته نفسه ونسي نعمة الله، وإذا مشى جر ثيابه بطرًا وخيلاء، قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجل يجر إزاره من**

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) سورة طه، الآية: ٨١.

الخيلاء خُسف به، فهو يُجَلجَل في الأرض إلى يوم القيامة»[1]؛ ثم اليوم لا ينظر الله تعالى إلى مثل هذا الإنسان؛ قال النبي ﷺ: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا**»[2]، وقال ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجِّل جمتَّه، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[3].

وقد أخبرنا الله جلَّ جلاله ماذا فعل بقارون الذي أعجبته نفسه وما يملكه من الأموال الطائلة، فبطر النعمة وتكبر على قومه، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[4]. فقد اعتبر قومُ قارون من هذه الحادثة وعلموا أنهم لو رزقهم الله كما رزق قارون لخسف بهم مثله، إذ ما يؤمنهم أنهم لو حازوا ما حاز قارون من الأموال فلن يبطروا ويكفروا نعمة الله مثلما فعل؟.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب: من جر ثوبه من الخيلاء.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب: من جرَّ ثوبه من الخيلاء.

(٤) سورة القصص، الآيتان: ٨١-٨٢.

المراؤون بالمال:

إن أول الناس الذين تسعر بهم النار ثلاثة أشخاص؛ أحدهم كان لا يتصرف في أمواله بما يرضي الله تعالى، وكان في الدنيا يصرف ماله رياء ليصفه الناس بالكرم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ: «**أن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينـــزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتِل في سبيل الله، ورجل كثير المال... ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله: ألم أوسِّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة له: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد وقد قيل ذلك. أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة**»[1].

فهذا الإنسان كان يريد أن يقال عنه كريم جواد، أي؛ أنه كان يريد الحياة الدنيا وزينتها وقد وُفِّي له ذلك في الدنيا، ولكن ليس له اليوم في الآخرة إلا النار يُسحَب على وجهه، ثم يُلقى فيها ليصلاها مذمومًا مدحورًا، كما قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[2].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٤٢.

(٢) سورة هود، الآيتان: ١٥-١٦.

الغالون للمال:

إن الذين أنعم الله عليهم بالمناصب في الدنيا ولكنهم لم يخلصوا فيها واستغلوها فقبلوا الهدايا التي ما كان أحد ليهديها لهم لو لم يكونوا في هذه المناصب؛ فإن الإسلام يعد هذا النوع من الهدايا غلول وهو محرم، وله اليوم العقاب الخاص به؛ فعن أبي حميد الساعدي قال: «استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا**». ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أُهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر**». ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه يقول: «**اللهم هل بلغت؟ بصُر عيني وسَمِع أذني**»[1].

إذ لا ينبغي لصاحب المنصب أن يستحل شيئًا لمجرد كونه وصل إليه على طريق الهدية، فهدايا أصحاب المناصب حرام وغلول؛ لأنه خيانة في منصبه وأمانته، وعقوبته يوم القيامة ستكون بأن يحمل على عنقه ما أُهدي إليه، وقال رسول الله ﷺ: «**من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطًا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب: احتيال العامل ليُهدى له.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال.

فقد صرح النبي ﷺ بأن من يكتم مخيطًا وهو الإبرة فما فوقها فهو غلول، وقد حرَّم الإسلام الغُلول، وذكر رسول الله ﷺ الغلول فعظَّمه وعظَّم أمره ثم قال ﷺ: «**لا أُلفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت**[1] **فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك**»[2].

فهذا تصريح بغلظ تحريم الغلول، وأصل الغلول الخيانة مطلقًا، ثم غلب اختصاصه في الاستعمال بالخيانة في الغنيمة، وقوله ﷺ: «**لا أُلفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء**»، أي؛ هي حالة شنيعة ولا ينبغي لكم أن أراكم عليها يوم القيامة. وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ**

(١) الصامت: الذهب والفضة. وقيل: ما لا روح فيه من أصناف المال.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: غلظ تحريم الغلول.

﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[1]، أي؛ يأت به حاملاً له على رقبته معذبًا بحمله وثقله، ومرعوبًا بصوته، وموبَّخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد، عقوبة له بذلك ليفتضح ثم العذاب من بعد ذلك. ويقال: إن من غلَّ شيئًا في الدنيا يُمَثَّل له يوم القيامة في النار، ثم يقال له: انزل إليه فخذه، فيهبط إليه، فإذا انتهى إليه حمله، حتى إذا انتهى إلى الباب سقط عنه إلى أسفل جهنم، فيرجع إليه فيأخذه؛ لا يزال هكذا إلى ما شاء الله.

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «**كلا إني رأيته في النار في بُردة غلَّها أو عباءة**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**يابن الخطاب، اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**» قال: فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»[2]، فهذا الرجل قُتل أثناء قتال أعداء الله فأبطل عن نفسه فضل الجهاد وفضل الشهادة بسبب بردة غلها فأدخلته النار بدلاً من أن تدخله الشهادة الجنة، فالجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، ومن غلَّ إبرة يأتي بها يوم القيامة فما كان أكبر من ذلك أولى بأن يأتي به يحمله على رقبته. قال رسول الله ﷺ: «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة**»[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم الغلول.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب: قول الله تعالى: ﴿**فإن لله خمسه وللرسول**﴾.

وإذا كان الأمر كذلك في الهدية للموظف صاحب المنصب أو قطعة قماش بسيطة يغلها المقاتل فالأمر أشد وأعظم في الرشوة التي لعن الله تعالى معطيها وآخذها؛ قال رسول الله ﷺ: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**»[1]؛ فما بالك بملعون من الله تعالى؟! قال تعالى: ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾[2]؛ واللعنة هي الطرد من رحمة الله، لذلك كان الراشي والمرتشي مطرودَين من رحمة الله، ولهما عذاب النار الذي يستحقانه يوم القيامة.

الجامعون للمال:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾[3]؛ أخبر الله تعالى عن الذي كان يجمع المال بعضه على بعض ويحصي عدده، ويزعم أنه يعده لنوائب الدهر ويلهيه ذلك بالنهار عن عبادة ربه، فإذا جاء الليل نام كأنه جيفة منتنة، فمثل هذا الإنسان يبغضه الله عزَّ وجلَّ كما قال النبي ﷺ: «**إن الله يبغض كل جعظري جوَّاظ، سخاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار،**

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٨٧١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الهُمزة، الآيات: ٢-٩.

عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة»[1]؛ والجيفة: هي جثة الميت وقد أراح، فهو ينام طوال ليله كالجيفة التي لا تتحرك فلا قيام ليل ولا صلاة فجر، حتى إذا ما اقترب موعد العمل هبَّ من نومه ولبس ثيابه على وجه السرعة وانطلق إلى عمله ليجمع المال. والحمار: هو الذي يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه على حساب آخرته، والأسوأ من ذلك أن يعمل كالحمار لدنيا غيره على حساب آخرته، حتى إذا جاء موعد النوم، و لم يعد هناك فرصة لجمع المال ارتمى على فراشه كالجيفة.

فالإنسان الذي كان يجمع المال ويعدده ويحسب أن ماله يخلده في الدنيا قد أخطأ خطأً عظيمًا لأن الأمر ليس كما حسب، فاليوم ليلقين في الحطمة التي تحطم من فيها وتهشمه، وهي نار الله الموقدة التي لم يكن يعمل حسابها وهو منشغل عنها بجمع المال. ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي؛ تأكل النار جميع ما في أجسادهم حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خُلقوا خلقًا جديدًا فرجعت تأكلهم. وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، أي؛ إنه في حال من يموت وهم لا يموتون؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[2] فهم إذًا أحياء في معنى الأموات. وقيل: إن معنى تطلع على الأفئدة، أي؛ تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب؛ وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٧٤.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ أي؛ إنها مطبقة أو مغلقة بعمد ممددة. وقيل: ثم إن الله يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار، ومسامير من نار، وعَمَد من نار، فتطبق عليهم بتلك الأطباق، وتشد عليهم بتلك المسامير، وتمد بتلك العمد، فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه رَوْح، ولا يخرج منه غم، وينساهم الرحمن على عرشه، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم، ولا يستغيثون بعدها أبدًا، وينقطع الكلام، فيكون كلامهم زفيرًا وشهيقًا.

الناسون لله بالمال:

إن الذين أنعم الله عزَّ وجلَّ عليهم بالنِّعم المختلفة ففرحوا واغتروا بالحياة الدنيا وزينتها وزخرفها عما أمرهم الله ورسوله به من العمل للآخرة فلم يقدموا خيرًا فيما أُعطوا، واتخذوا الدين لهوًا ولعبًا فنسوا الله ونسوا أنهم ملاقوه في الآخرة ليحاسبهم على أعمالهم، فهؤلاء عقابهم اليوم من جنس عملهم؛ كما نسوا الله فإن الله تعالى ينساهم فيتركهم في العذاب كما أخبر بذلك النبي ﷺ: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا وسخَّرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقِيَّ يومك هذا؟ فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني**»[1] أي؛ أن الله تعالى اليوم يتركه في العذاب ويعامله معاملة من نساه؛ لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٧٨.

وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2]، أي؛ إذا قيل إن البعث كائن والساعة لا ريب فيها قلتم: لا نعرف الساعة هل هي حق أم باطل، إن نتوهم وقوعها إلا توهمًا، وما نحن بمتحققين أن الساعة آتية. وظهر لهم جزاء سيئات ما عملوا وأحاط بهم ما كانوا به يستهزئون من عذاب الله. فاليوم ننساكم ونترككم في النار كما نسيتم وتركتم لقاء يومكم هذا، فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به، ومسكنكم النار وما لكم من أحد ينصركم أو يدافع عنكم، وإنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم القرآن وحجج الله عليكم سخريًا، تسخرون وتستهزئون بها، وخدعتكم الدنيا بأباطيلها وزخارفها فاطمأننتم إليها وظننتم أن ليس ثمَّ غيرها، وأن لا بعث، وأصبحتم من الخاسرين، فاليوم لا يخرجون من النار ولا يطلب منهم العتبى ولا يسترضون.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥١.

(٢) سورة الجاثية، الآيات: ٣٢-٣٥.

الآكلون لأموال اليتامى ظلمًا:

إن الذين كانوا يأكلون أموال اليتامى ظلمًا فقد كانوا يأكلون في بطونهم نارًا تتأجج يوم القيامة وهم لا يشعرون، واليوم سيتم فضحهم أمام الخلائق بعلامة يعرفون فيها بأنهم أكلة أموال اليتامى ثم يصلون النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[1]. قال السدي: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه كل من رآه بأكل مال اليتيم.

الناقضون للعهد لأجل المال:

إن الذين كانوا لا يملكون كثيرًا من المال فعاهدوا الله تعالى ووعدوه أنه إذا تفضل عليهم ورزقهم من المال فسوف يتصدقون ويكونون من الصالحين، فاستجاب الله عزَّ وجلَّ لهم ورزقهم الأموال الكثيرة، ولكنهم نقضوا عهد الله وأخلفوا بما وعدوا به من التصدق، وكذبوا فيما ادعوه؛ فلم يتصدقوا ولم يؤدوا زكاة أموالهم وبخلوا وأعرضوا عن طاعة الله، ولم يكونوا صالحين كما قال الله تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1]؛ فالله عزَّ وجلَّ قد أعقبهم نفاقًا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله تعالى يوم القيامة، وهذا هو يوم القيامة وقد آن الأوان لعقابهم على صنيعهم بما يستحقونه؛ لأنهم عصوا أمر الله بإيفاء العهد، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾[2].

وكما وعد الله عزَّ وجلَّ بالأجر العظيم لمن أوفى بما عاهد الله عليه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3]، فكذلك نقض العهد وإخلاف الوعد له حساب وعقاب شديد؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾[4]، أي؛ يسأل عنه صاحبه، وقد أعقب الله تعالى هؤلاء نفاقًا؛ فمن صفات المنافق أنه إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر. والمنافق في أسفل النار ولن يجد له من ينقذه مما هو فيه من العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ (١). عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تُضارُّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟**» قالوا: لا، قال: «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟**» قالوا: لا، قال: «**فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال: فيلقى العبد فيقول: أي فل، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب، آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذًا. قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد عليَّ؟ فيُختم على فِيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي؛ فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه**» (٢).

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٦٧-٦٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

البخلاء بالمال:

إن الذين آتاهم الله عزَّ وجلَّ من فضله وأنعم عليهم بالمال فبخلوا به ولم ينفقوا منه كما أمر الله تعالى، وظنوا أن هذا خير لهم فقد أخطؤوا كثيرًا، إذ ليس الأمر كما ظنوا، بل هذا شر لهم، وفي هذا اليوم سيطوقون ما بخلوا به كما توعدهم الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾[1]؛ وقال رسول الله ﷺ: «**لا يأتي رجل مولاه، يسأله من فضلٍ عنده، فيمنعه إياه، إلا دُعي له يوم القيامة شجاع أقرع يتلمظ فضله الذي منع منه**»[2]؛ الشجاع الأقرع هو الحية التي كثر سمها، ويتلمظ فضله، أي؛ يدير لسانه عليه ويتبع أثره.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

(٢) صحيح سنن النسائي، رقم: ٢٤٠٦.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
قصة الرزق والمال	١١
من أين الرزق	١١
دوام الرزق في الأرض	١٦
الرزق والمال	٢٧
رزق الإنسان وماله	٣٠
الإنسان والمال	٣٣
أنت والمال في الدنيا	٤١
زينة المال	٤١
درجات المال	٤٣
فتنة المال	٤٤
المسلم والمال	٤٧
الكافر والمال	٦١
كيف تكسب المال	٧٥
١- عمل الصالحات	٧٦

٢- تقوى الله عزَّ وجلَّ ٧٨
٣- التوكل على الله ٨١
٤- الإكثار من الاستغفار ٨٥
٥- الدعاء ٩٠
أسباب حفظ المال وزيادته ١٠١
١- ذكر الله ١٠٢
٢- الإنفاق في سبيل الله ١٠٤
٣- الزكاة والصدقة ١٠٥
٤- فعل الحسنات ١٠٩
٥- صلة الرحم ١١١
٦- المجاهدة بالمال والنفس ١١٢
٧- المتابعة بين الحج والعمرة ١١٧
٨- العمل بالحلال ١١٩
٩- التبكير في طلب الرزق ١٢٦
١٠- عدم التلهي بالمال والعمل عن العبادات ١٢٦
١١- الشكر لله على النعمة ١٢٩
أسباب خسارة المال وتقليله ١٣٧
١- فعل السيئات ١٣٧
٢- أكل أموال الناس بالباطل ١٤٠
٣- الربـــا ١٤١
٤- الريـــاء ١٤٤

٥- إتلاف أموال الناس ١٤٦
٦- أكل أموال اليتامى ١٤٧
٧- الحرص والبخل ١٤٧
٨- المن والأذى ١٥٢
٩- الشكوى إلى الناس ١٥٣
١٠- إتيان السفهاء الأموال ١٥٤
١١- إضاعة المال ١٥٥
١٢- العمل بالحرام ١٥٧
١٣- التلهي بالمال والعمل عن العبادات ١٦٤
١٤- كفر النعمة ١٦٨
أنت والمال في الآخرة ١٧٩
أنت والمال في الآخرة ــ ثواب المال وحسناته ١٨٣
المنفقون للمال في سبيل الله ١٨٣
المجاهدون في سبيل الله بالمال ١٨٤
المتصدقون للمال ١٨٦
المؤتون للمال على حبه ١٨٩
الصابرون على البلاء في المال ١٩٠
الذين يقدمون العبادة على المال ١٩١
المنظرون والواضعون للمال ١٩٢
أنت والمال في الآخرة ــ عقوبات المال وسيئاته ١٩٥
لا يغني المال ولا ينفع في الآخرة ١٩٥

المحاربون لله ولدينه بالمال ٢٠١
الممتنعون عن أداء زكاة المال ٢٠٣
المرابون بالمال ٢٠٦
الطغاة والبغاة بالمال ٢٠٧
المتكبرون البطرون بالمال ٢٠٧
المراؤون بالمال ٢٠٩
الغالون للمال ٢١٠
الجامعون للمال ٢١٣
الناسون لله بالمال ٢١٥
الآكلون لأموال اليتامى ظلمًا ٢١٧
الناقضون للعهد لأجل المال ٢١٧
البخلاء بالمال ٢٢٠
فهرس المحتويات ٢٢١

كتب المؤلف

١- الصلاة والرياضة والبدن	الطبعة الأولى	المكتب الإسلامي
٢- لماذا صلاة الفجر	الطبعة الأولى	مكتبة دار الحميضي
٣- مجالسنا إلى أين	الطبعة الأولى	مكتبة دار الحميضي
٤- جسمك والتلفزيون	الطبعة الثانية	دار الكتاب والسنة
٥- ولدك والتلفزيون	الطبعة الثانية	دار الكتاب والسنة
٦- دليلك إلى المرأة	الطبعة الثانية	دار الكتاب والسنة
٧- ماذا يحب الله ﷻ وماذا يبغض	الطبعة الثانية	دار الكتاب والسنة
ماذا يحب الله ﷻ وماذا يبغض	الطبعة الثالثة	مكتبة العبيكان
٨- التعري الشيطاني	الطبعة الأولى	دار الكتاب والسنة
٩- ماذا يحب النبي محمد ﷺ وماذا يكره	الطبعة الثانية	مكتبة العبيكان
١٠- كيف تكون ناجحًا ومحبوبًا	الطبعة الثانية	مكتبة العبيكان
١١- كيف تكونين ناجحةً ومحبوبةً	الطبعة الثانية	مكتبة العبيكان
١٢- أنت والمال	الطبعة الأولى	مكتبة العبيكان

Printing & Packaging
Tel: (011) 265 1144